جامعة الخليل

عمادة الدراسات العليا

العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية

(92 هـ- 422هـ) – (710م -1031م)

إعداد الطالبة

إسراء محمد نجيب أبو عمر

إشراف الدكتور

عمر شلبي

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الأندلسي

بكلّية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل

1439هـ / 2017 م

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Masters in Andalusian History in the college of Graduate Studies and Academic Research , Hebron University

إجازة الرسالة

العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية

(92هـ - 422 هـ/710-1031م)

Racism in Andalusia, from the conquest to the end of the Umayyad Caliphate era

(92_422Hijri_710_1031AD)

إعداد

إسراء محمد نجيب أبو عمر

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت من لجنة المناقشة

يوم الأحد الموافق 17-12-2017م، الموافق 29 من ربيع الأول 1439هـ

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
1. د.عمر شلبي	(رئيسًا ومشرفًا)	.....
2. د. محمد الحروب	(ممتحنًا خارجيًا)	.....
3. د. شوكت حجة	(ممتحنًا داخليًا)	.....

الإهداء

إلى زوجي العزيز حسام تلاحمة

إلى أمي الحنونة ووالدي الغالي

إلى أخواتي وإخوتي

إلى كلّ مَنْ تجرّع مرارة العنصرية وذاق ويلاتها في وطننا

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والامتنان إلى كلّ من :

- **أستاذي ومشرفي الدكتور عمر راجح شلبي الذي أمدني بتوجيهاته وإرشاداته القيمة ومتابعته لمراحل كتابة الرسالة، منذ أن كانت فكرة إلى أنْ آتت أُكلها.**
- **أساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ .**
- **الدكتور إسحق الجعبري الذي دقّق الرّسالة لغةً وأسلوباً.**
- **أختي زينب وابنة عمي ريحان اللتين بذلتا مجهودًا خلال فترة غيابي عن الوطن.**
- **إلى كلّ مَنْ ساعدني وساندني دون استثناء .**

المختصرات والرموز

- **م : ميلادي**
- **ق.م : قبل الميلاد**
- **هـ : هجري**
- **د.ت : دون تاريخ نشر**
- **د.ن : دون دار نشر**
- **د. م : دون مكان نشر**
- **ت : توفي**
- **ط : طبعة**

المحتويات

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير ..... ب

المختصرات والرموز ..... ج

المحتويات ..... د

ملخص الدراسة باللغة العربية ..... ز

المقدمة ..... ط

الفصل الأول : تعريف العنصرية 1

1- تعريف العنصرية 1

أ- العنصرية لغةً 1

ب-اصطلاحًا 3

2- العناصر السُّكانية التي حملت الفكر العنصري وأسباب ذلك

..... 8

العرب 8

البربر 12

المولّدون 16

المستعربون 20

الموالي 23

أهل الأندلس 29

الفصل الثاني:العنصرية في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية 32

1- العنصرية في الحياة الاجتماعية 32

1- التعصُّب للعرق 32

2- الطبقية في المجتمع 38

3- القِيَم والعادات والتقاليد 53

2- العنصرية في الحياة السياسية(الثورات ذات الطابع العنصري).....56

أ- ثورة البربر عام (123هـ/741م) 56

ب-ثورات المولّدين في عهد الحَكم بن هشام 60

ت - ثورة المولّدين بقيادة عمر بن حفصون 65

ث- الفتنة البربرية 68

3- العنصرية في الحياة الفكرية 75

أ- العنصرية المذهبية 75

ب-العنصرية من خلال الأدب 80

الفصل الثالث : وسائل التصدّي للعنصرية 85

1- استخدام القوة العسكرية..... 85

2- الأدب كوسيلة معنوية 88

3- التخطيط لعمل مزج اجتماعيّ سليم 91

أ- المصاهرة 92

ب- الامتزاج الثقافي 95

ت-عمل إصلاحات شاملة 95

4- وجود حكومة قوية 100

أ- اتباع سياسية الترغيب والترهيب 100

ب- إعداد جيش قويّ 102

الخاتمة 107

قائمة المصادر والمراجع 111

ملخّص باللغة الإنجليزية 131

ملخّص الدراسة باللغة العربية

تُعنى هذه الدراسة بالبحث في العنصرية في الأندلس من الفتح حتّى سقوط الخلافة الأموية ،حيث ظهرت العنصرية في الأندلس منذ بدايات الفتح الإسلاميّ لها. ولفهم العنصرية كان لا بدّ من البحث في تعريفها فيما يتناسب مع موضوع الدراسة ، وقد قطن الأندلس في حينها عناصر وأجناس مختلفة، من العرب والبربر والمولّدين والنصارى وأهل الأندلس والمستعربين ، وكان لكلّ عنصر من العناصر دور في بروز العنصرية التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية ، نتيجة لقيامها بالثورات والفتن ضدّ الحكم الأمويّ .

وقد كان للعنصرية دور وتأثير في مجالات الحياة المختلفة، سواء كانت اجتماعيّةً، أو سياسيّةً، أو فكريّةً، فكان تعصُّب العناصر المختلفة لعرقها ،إضافةً إلى الطبقية في المجتمع ، حيث لم يكن هناك عدل في الحصول على المناصب والوظائف في الدولة ، وفي الحصول على الثروات ، ومن الناحية السياسيّة فقد تمّ التعبير عن العنصرية على شكل ثورات كان سببها إما الحقد والكراهية لأسباب عرقيةٍ وقوميةٍ، أو بسبب شعور بعض العناصر بالظُّلم وعدم حصولها على حقوقها ، أما فيما يتعلّق بالناحية الفكرية، فكان لفرض مذهب واحد وهو المذهب المالكيّ الحدّ من الحرية الفكرية، والتنكيل بالمفكّرين والفقهاء الذين خالفوا هذا المذهب واتبعوا غيره .

وحتّى تنهضَ الخلافة الأموية بنفسها كان لا بدّ من القيام بأمور عديدة للتخفيف من حدّة العنصرية؛ لذلك واجهت الثورات باستخدام القوة المسلّحة ، إضافةً إلى استغلال المصاهرة لعمل مزج بين العناصر الأندلسيّة والمزج الثقافيّ، وكذلك وجود حكومة قويّة تُمسك بزمام الدولة، ولا تسمح لأيّ حاقد باستغلال أيّ نقطة ضعف في المجتمع الأندلسيّ .

على الرغم من القيام بإجراءات تحدّ من العنصرية، إلا أنّ العنصرية كمصطلح لم يكن متعارفًا عليه ، ولم تبذل الدولة الأمويةُ في الأندلس وسعها للتخفيف من حدّتها ، فالوسائل السابقة وإن استخدمها الحكام الأمويّون كانت قد استُخدمت للحفاظ على مكانتهم في الحكم ، وليس للتصدّي للعنصرية بشكل مباشر .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد _ صلّى الله عليه وسلّم_ خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد :

ظهرت العنصرية مع بدايات الفتح الإسلاميّ للأندلس منذ دخول طارق بن زياد وموسى بن نصير لها، وبدأ الترويج لها عن طريق أسطورة حرق طارق بن زياد للمراكب، والخطبة التي خطبها بجنوده عند الفتح، واستمرّت لما بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس .

ويُعدّ عام(92هـ /710م) حتّى (422هـ/1031م) هو محور الدراسة في هذا البحث .

يأتي اختيار هذا البحث في سبيل تغطية ظاهرة العنصرية التي تقوم على الشّعور بالتميّز العنصري والفوقية العرقية، التي بدأت ملامحها بالظهور في وقت مبكّر جدًّا بالأندلس، أي منذ بدايات الفتح الإسلاميّ، واستمّرت هذه الظّاهرة دون أن يجد المجتمع الأندلسيّ مَن يعالجه بمبادئ الإسلام من العدل والمساواة، ليكون من نتائجه انهيار الخلافة الأمويّة في الأندلس، كما تمّ اختيار هذا البحث نتيجة لما يّمارس على الأمة من تمييز وعنصرية تهدف إلى بقائها ضعيفةً، ليظلّ هناك سيطرة عليها.

عُرِفت الأندلس بتعدّد أجناسها (أهل البلاد الأصليين والعرب والبربر، والمغاربة ، والموالي، والمستعربين)، إلا أنها لم تعرف الخطط التي تكفل المزيج الاجتماعيّ السليم بين هذه الأجناس، على الرغم من المحاولات الشّحيحة لذلك .

جاء هذا البحث ليسلط الضَّوْء على حصاد ما أفرزته العنصرية القبلية والقومية التي سيطرت على العرب قيسيّهم ويمنيّهم .. وبين العرب والبربر والمولّدين، ثمّ بين العرب والمولّدين من جانب، والبربر والصّقالبة من جانب آخر. استغلّ أعداء الإسلام الشّتات الجنسيَّ الذي تُركت بذور العداوة بين عناصره تنمو وتزدهر، حيث استغلّ أعداء الشمال في منطقة القلاع (قشتالة) ، ظاهرة العنصرية في تحقيق أهدافهم ، التي لم يفطن لها المسلمون.

ووفقًا لطبيعة البحث وما يشتمل عليه من مادة، فقد اقتضى أن يقع في ثلاثة فصول، تفرّع كلّ فصل إلى موضوعات تناولت ماهية العنصرية وجذورها وغير ذلك .

تحدث الفصل الأول عن ظهور العنصرية في الأندلس، فتناول مفهومها في اللغة والاصطلاح، بالاستعانة بالمصادر والمراجع اللغوية المختلفة لمعرفة اشتقاق الكلمة، ومعناها.

و تضمن هذا الفصل أيضًا العناصر السُّكانية التي حملت العنصرية، والسبب في حملها لها في فترة موضوع البحث، وهم العرب، والبربر، والمولّدون، والمستعربون، والموالي، وأهل الأندلس، ومن أسباب ظهور العنصرية : الموقع الجغرافيّ للأندلس، حيث إنها بعيدة عن مركز الخلافة الأموية في دمشق، إضافة إلى اعتماد العرب على العناصر غير العربية، ممّا أدّى إلى إضعاف العنصر العربّي وظهور عناصرَ وعصبياتٍ أخرى، كان لها دور بارز في الصّراع العنصريّ، وعدم حصول البربر على ما كانوا يتوقّعون من موقع سياسيّ في الحكم ، كما كان لانتشار اللغة العربية في أوساط الإسبان وإقبالهم على الدين الإسلاميّ، أثره في تنامي حقد رجال الدين المسيحيين المتعصّبين على المسلمين وعلى الثقافة العربية الإسلامية والدين الإسلامي، إضافة إلى وجود المستعربين الذين تحالفوا مع الممالك النصرانية في شمال إسبانيا ضدّ الحكم الإسلاميّ.

وخُصِّص الفصل الثاني للعنصرية في الحياة الاجتماعيّة، والسياسيّة، والفكريّة، أما في الحياة الاجتماعية، فقد تمّت مناقشة موضوعات عدّةً، أهمّها: التعصّب للعرق، ثمّ الطبقية في المجتمع، والقِيَم والعادات والتقاليد.

أما الفصل الثالث، فقد تناول وسائل التصدّي للعنصرية، وكانت عن طريق استخدام القوة العسكرية، وعن طريق الأدب ، والتخطيطي لعمل مزج اجتماعيّ سليم ،ثمّ وجود حكومة قويّة.

لا توجد دراسات علميّة سابقة في هذا المجال، و خاصّة حول العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية على صعيد الرسائل الجامعية، أو الأبحاث التاريخية المختلفة القديمة منها والحديثة.

إلا أنّ بعضَ المؤلفات ذكرت جوانب من مظاهر العنصرية في تلك الفترة، من خلال السّياق العام، ولم يتمَّ تناولها بشكل منفرد، ومن هذه المؤلّفات كتاب : **الحلَّة السّيّراء** لابن الأبار ، وكتاب : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** للمقري، وكتاب : **التكوين العنصريّ للشّعب الأندلسيّ**، للدكتورة سامية مسعد. ورسالة دكتوراه بعنوان **الشّعوبية في الأندلس من عصر الطوائف إلى نهاية عصر الموحّدين**، للدكتور عمر شلبي.

ومن هنا تأتي أهميّة الدراسة بوصفها الدراسةَ الأكاديميّةَ المتخصِّصَةَ في البحث عن العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية .

من الصعوبات التي واجهت في هذه الدراسة : صعوبة استنباط العنصرية من خلال المجريات والأحداث التاريخية ، فكان لا بدّ من التركيز في الوقائع التاريخية للتمييز بين ما ينطوي تحت مفهوم العنصرية، فالأحداث التي تعدّها الباحثة عنصرية يمكن أن يراها الآخرون غير ذلك، ويرجع هذا الأمر إلى ثقافة الباحثة ورؤيتها للأمور حسب وجهة نظرها، ومن الصّعوبات أيضًا

عدم وجود مصادر ومراجع تتحدّث عن العنصرية، أو تتناولها بشكل منفرد ومباشر في الفترة التي تناولتها الدراسة، إضافة إلى قلّة المراجع الأجنبية في مكتباتنا التي كان من الممكن أن تساعد في إثمار عملية البحث، كما أنّ هناك صعوبة في جمع المادة التاريخية وصياغتها بطريقة نظرًا لكثرة الأحداث وتشعّبها .خاصة، وأنه لا بدّ من الوقوف على كلّ حدث مهما كانت أهمّيته، ومن ثمّ القيام بتصنيفه إن كان بالإمكان اعتباره يندرج ضمن موضوعات البحث أم لا، ولا بدّ للباحث التاريخيّ أن يتحلّى بالصّبر والجلد، وأن يلتزمَ الحياديةَ والموضوعيةَ في تناوله للأحداث التاريخيّةِ، بحيث لا يتحيّز لفئة دون أخرى، وهذه بحدّ ذاتها صعوبة، فالإنسان بفطرته يميل إلى حيث انتماؤه، وكان لقلّة المصادر والمراجع الأندلسيّة التي تتحدّث عن الأدب بمفهومه العنصريّ صعوبة بالغة، فكان لا بدّ من قراءة الأدب الأندلسيّ في هذه الفترة، والتمحيص بها، لعلّ وعسى أن نستنبط منها ما يُعبّر عن العنصرية ويرشد إليها.

تحليل لأهمّ المصادر والمراجع

من أهمّ المصادر التي تمّ الاستعانة بها في هذه الدارسة :

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري (712هـ/1312م)**، ويُعدّ هذا المصدر من المصادر المهمّة التي اعتُمِدَ عليها في هذه الدراسة ، حيث اعتمد ابن عذاري في بيانه على مصادرَ مغربيةٍ وأندلسيّةٍ، كما كان له أهمّية في إثراء الدراسة بمعلومات بينت أنّ العنصرية وُجِدت بين العرب والبربر منذ بدايات الفتح الإسلامّي ، ثمّ تحولت إلى عنصرية أندلسيّة بربرية في أثناء أحداث الفتنة البربرية في قرطبة .
- **الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت776هـ/1374م)**، وهو كتاب تراجم لشخصيّات أندلسيّة لها علاقة بتاريخ غرناطة، أفادت الدارسةَ في بعض الأخبار، وفي التعريف ببعض الشّخصيّات .
- **الحِلة السيَراء لابن الأبار (ت685هـ/1259م)**، يُعدّ من المصادر المهمّة والقَيّمة في التاريخ الأندلسّي والمغربّي. فقد أمدّ الدراسة بمعلومات مهمّة، خاصّةً في ما يتعلّق ببعض الأشعار التي ما بين المولّدين والعرب.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمسانيّ (ت1041هـ/1116م)**، ويُعدّ من المصادر الغنية بالأحداث التاريخية في فترة الدراسة التي تمّ من خلالها استنباط العديد من المجريات التي تدلّ على العنصرية .

بالإضافة إلى المصادر، فقد تمّ الاعتماد على الكثير من المراجع العربية والأجنبية التي من أهمّها :

- **التكوين العنصري للمجتمع الأندلسيّ لسامية مسعد** ، فقد احتوى هذا الكتاب على العناصر التي تكوَّنَ منها المجتمع الأندلسيّ والثوراتُ والفتنُ التي اندلعت في الأندلس خلال فترة البحث .
- **المجتمع الأندلسيّ في العصر الأمويّ ليوسف ديودار**، حيث احتوى على جزء من الحياة الاجتماعيّةِ في الأندلس ، وطبيعة العلاقات بين العناصر السّكانية في الأندلس.
- **الأندلس في عصر الولاة لأشرف اشتيوي**، وهي رسالة ماجستير تناولت الخلافاتِ والاضطراباتِ بين عناصر المجتمع الأندلسيّ .

ومن المراجع الأجنبية والمعرَّبة :

- **المسلمون في الأندلس لرينهرت دوزي**، فقد تناول تاريخ المسلمين في الأندلس حتّى عصر ملوك الطّوائف، وكان تركيزه على الناحية السياسيّة في الأندلس أكثر من النواحي الحضارية .
- **الحضارة العربية في إسبانيا لليفي بروفنسال**، حيث تحدّث عن الحضارة العربية في إسبانيا والمذهب المالكّي .

هذه هي أهمّ المصادر والمراجع التي اعتُمدَ عليها في هذه الدراسة ، بالإضافة إلى المصادر والمراجع الأخرى التي تم تناولها في البحث، وهي مثبتة في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

الفصل الأول

تعريف العنصرية

1- تعريف العنصرية

أ- العنصرية(لغةً):

العنصرية: يرجع هذا المصطلح إلى كلمة (العنصر) بفتح الصّاد وهو الأفصح، وبضمّها وهو الأشهر[1].

والعنصر: الأصل والحسب والنسب [2]، ويقال: فلانٌ كريمُ العنصر والجنس، أو يقال: فلان من العنصر الآري[3]، أو السّامي[4]، جمع عنصر هو عناصر، والعناصر عند القدماء أربعة، وهي: النار، والهواء، والماء، والتراب، والعنصرية هي تعصُّب المرء أو الجماعة للجنس وهي محدثة[5].

---

[1] ابن منظور،محمد ، **لسان العرب** ،(611/4).رضا ، أحمد ، **معجم متن اللغة** ،(221/4).

[2] الزمخشري، محمود، **أساس البلاغة** ،(144/2).الزبيدي ، مرتضى ، **تاج العروس** ، (71/13). الجوهري، إسماعيل، **الصحاح** ،(750/2)،الفيومي ، احمد ،**المصباح المنير** ،157. الفيروز أبادي ،مجد الدين ، **القاموس المحيط**،(414/2).البستاني ، بطرس ، **قطر المحيط** ،1455.البستاني ، بطرس ، **محيط المحيط** ،637.

[3] العنصر أو الجنس الآري منسوب إلى آريا وهي اسم شعب كان مهده النجد الفارسي من بلاد الأفغان ثم انحدر إلى الشمال الغربي من الهند ومعه دين جديد وهو دين الفيديين وله كتاب مقدس يسمى " الفيدا "، وظهرت في القرن التاسع عشر نظرية شعب آري هو أصل الأمم الأوروبية وبعض الدول الأوروبية ، ثمّ سَعَوْا إلى ترسيخ النظرة العنصرية على الجنس السامي ، فصرّح الفيلسوف الفرنسي رينان بأنّ الجنس السامي دون الجنس الآري . وهذه النظرية قائمة على نزعة عنصرية تُعلي من شأن العنصر الأوربي، وتقلل، من شأن العرب والمسلمين وغيرهم من الشعوب السامية في مجال الفلسفة والإبداع. عبد الرزاق، مصطفى، **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**،9-10.

[4] العنصر السامي، سُمّي بذلك نسبة إلى سام ولد نوح عليه السلام وإليه يرجع العرب .الديبو، إبراهيم، **التفاضل بين البشر** ،512.

[5] **المعجم الوسيط** ،631. الخوري، سعيد ، **أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد** ،(838/2).

والتمييز العنصري: أي التفريق بين إنسان وآخر بالنظر إلى العنصر والجنس واللون، والعنصرية مذهب المتعصّبين لعنصرهم أو لمذهب التمييز العنصري[1] ، وقد وردت كلمة تمييز في قوله تعالى "**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**"[2]، أي تميّزوا أو انفردوا عن المؤمنين ، وفي الحديث (لا تهلك أمتي حتّى يكون بينهم التمايل والتمايز، أي يتحزّبون أحزابًا ويتميّز بعضهم من بعض ويقع التنازع) [3] .

أما كلمة (عنصريّ) فهي اسم مفرد منسوب إلى (عنصر) وهو مَن يتعصّب لجنس أو شعب معيّن، ويقال: رجل عنصري وتفرقة عنصرية[4] ، وقد وردت التفرقة في قوله تعالى : " **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**"[5]، وتقوم التفرقة على أساس الاختلاف في القبيلة أو الشعب أو اللون أو الجنس[6] .

بناءً على ما سبق فإنّ العنصريّة تقوم على أساس التمييز والتفرقة سواء بين الشعب الواحد أو بين الشّعوب الأخرى، كما حدث في الأندلس، حيث سنجد أنّ العنصرية قد كانت قائمة بين العرب أنفسهم وبينهم، وبين العناصر الأخرى التي سكنت الأندلس.

---

[1] مسعود ، جبران ،**الرائد** ، 566-567.

[2] **يس** : 59.

[3] ابن منظور ، محمد ، **لسان العرب** ،(5/412-413).

[4] عمر، أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة** ، (2/1564) .

[5] آل عمران : 103

[6] البهي ، محمد ، **التفرقة العنصرية والإسلام** ، 11.

ب- العنصرية (اصطلاحًا):

العنصرية عمومًا، هي استعلاء قومٍ على قوم، وسيطرة شعبٍ على شعبٍ، وإذلال فئةٍ قويةٍ لأخرى مستضعفةٍ، وقد بُنيت العنصرية على أسسٍ عقائدية، ومن أقدم مَن مارس التمييز العنصريّ عمليًا، العبرانيون القُدماء، ولخّصوا ذلك بعقيدتهم في أنهم (شعب الله المختار)[1].

وهي مذهب يفرق بين الأجناس والشعوب بحسب أصولها وألوانها، ويترتّب على هذه التفرقة حقوقٌ ومزايا للمتعصّبين لعنصرهم، أو لأصلهم العرقي[2]، و لا تزال العنصرية سائدةً في بعض الدول حتّى الآن [3]، ومن العلماء الذين عَبّروا عن العنصرية، الجاحظ الذي عبّر عنها بألفاظ مختلفة، كما يرى حسين توفيق منها: (العصبية[4]، والتفاضل،

---

[1] حسين ، توفيق ، **الموسوعة الصغيرة (مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ)**،18.تقوم فلسفة العنصرية اليهودية على أنّ اليهود يمتازون على سائر الأجناس البشرية من حيث إنهم شعب الله المختار، جاء في التوراة : " لأنك شعب مقدس للرب، إلهك إياك قد اختار الربّ، إلهك لتكون له شعبًا أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ". **سفر التثنية**، إصحاح 7، آية 6. كما جاء في التلمود أنّ اليهود هم وحدهم هم البشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى حيوانات .بونس، مسعد ،**همجية التعاليم الصهيونية** ،54. ويقال: إنّ أول عنصريّ في الكون هو إبليس عندما أمره الله هو والملائكة أن يسجدوا لآدم، إلا أنه رفض، لأنه يرى في نفسه أنه أفضل منه، لأنه مخلوق من نار، حيث قال :" **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ". **ص: 76** إذا إبليس أول العنصريين وأول من أوجد العنصرية ، عنصرية التفاضل وعنصرية الجنس، حيث أراد أن يميز ويفضل نفسه على آدم عليه السلام . قارة ، عبد العزيز ، **الإسلام والعنصرية** ،20.

[2] العرق : جنس أو سلالة من الناس يُصنَّفون بناءً على التاريخ أو الجنسية أو التوزيع الجغرافي المشترك . عمر ، مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة** ،(1488/2).

[3] **نفسه** ، (1564/2) .

[4] قال الأزهري: العصبية هي أن يدعوَ الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم ، على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، أما ابن خلدون فيعرفها على أنها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم ، أو تصيبهم هلكة ... ومن هذا الباب الولاء والحلف ، إذ نعرة كلّ أحد على أهل ولائه وحلفه . وعرفها آخرون على أنها تلاحم بالعصب ،والالتصاق بالدم ، والتكاثر بالنسل ، ووفرة العدد ، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول ، إن =

والشعوبية[1]، والذلة[2] والصّغارة، والتفضيل والتأخير، والوصول إلى تفضيل إنسان بانتقاص آخر، وبَخْسِ حقوق قوم وإعطاء قوم فوق ما يستحقّون، والخروج من حدّ الحمية إلى حدّ العصبية)[3].

حدّد علم الأجناس البشرية في بداياته العنصرية على أنها اعتقاد بأنّ الأجناس البشرية بفطرتها تحدّد حضارتها، وتنطوي هذه الحضارة عادة على فكرة: أنّ جنسًا خاصًا يتميّز على غيره ، وأنّ الحقّ في أن يحكم الآخرين، كما أنّ هذا العلم يحدد العنصرية أيضًا على أنها مجموعة كبيرة من

=العنصرية والعصبية تجعل صاحبها ينظر إلى الآخرين بتكبر وتعالٍ وينظر إلى نفسه على أنه أعظم المخلوقات، وهكذا نظر اليهود إلى غيرهم عبر التاريخ والجاهليون إلى العبيد ، والبراهمة إلى المنبوذين .الأزهري ، محمد، **تهذيب اللغة** ،(49/2). ابن خلدون، عبد الرحمن ، **المقدمة** ،235. الجريسي ، خالد ، **العصبية القبلية** ،26.

[1] بما أنّ الشعوبية تعتبر من الألفاظ التي تُعبّر عن العنصرية فيجب أن يتمّ توضيحها و التمييز بشكل واضح بينها وبين العنصرية ، فالشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم ، ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم، وهناك = = مَن يعّرفها على أنها نزعة في العصر العباسّي تنكر تفضيل العرب على غيرهم ، وتحاول الحطّ منهم، أما الشعوبيون فهم الحاقدون والحاسدون للعرب على المنزلة التي وصلوا إليها ، وحقدهم ينبع من قيام العرب المسلمين بإزالة دولهم كالفرس والقوط . بناءً على التعريفات السابقة نرى أنّ الشعوبية تتبع ضدّ العرب وحدهم دون الشعوب والعناصر الأخرى، بينما العنصرية ليست ضدّ شعب معيّن، بل يمكن أن ترى العنصر الواحد يمارس العنصرية على الفئة نفسها التي ينتمي إليها ، لكننا نجد أنّ الأسباب للشعوبية والعنصرية واحدة، منها الكره والحسد والبغضاء، كما أنّ الشعوبية قد وردت في المصادر التاريخية القديمة بينما العنصرية هي كلمة مستحدثة يمكن استنباطها من خلال الأحداث والمفردات والمفاهيم التي توحي بها . ابن منظور، محمد ، **لسان العرب** ،(127/7) ، الزبيدي ، مرتضى ، **تاج العروس** ، (321/1) . **المعجم الوسيط**،484. ابن قتيبة ، عبد الله ، **فضل العرب والتنبيه على علومها** ، 33. شلبي ، عمر ، **الشعوبية في الأندلس** ، 40.

[2] **الذلة** : من الذل وهي نقيض العزّ وفي ذلك قال عمرو بن قميئة وهو شاعر جاهلي :

وشاعر قوم أولي بغضة قمعت فصاروا لئامًا ذلالا .

ابن منظور ،جمال الدين ، **لسان العرب** ، (256/11).

[3] الجاحظ ، عمرو، **الحيوان** ،(5/1). **البخلاء**،2.**التاج في أخلاق الملوك** ،22.

الناس يرتبط بعضها ببعض عن طريق رباط مشترك عام من خصائص : جسميةٍ وعقليةٍ .. وتنفصل عن غيرها من المجموعات ، وتتميز عنها بهذه الخصائص كذلك[1] .

والمجتمع العنصريّ هو الذي يرى أنّ عناصره هي أفضل العناصر دون سائر العناصر البشرية الأخرى ، بناءً على مفاهيم بشرية خاطئة اعتمدت على أسسٍ ماديةٍ لا سندَ لها صحيحَ من نقلٍ أو عقلٍ، وهو يحمل مبدأ سموّ عنصره على بقية العناصر البشرية الأخرى[2].

ويُعِّرف الكيالي العنصرية في موسوعته على أنها نظام متكامل وممارسة قائمان على فرضيّة تقول: إنّ العامل المقرر في خصائص البشر وقدراتهم هو الانتماء العرقي، وبأنّ العناصر العرقية تتفاوت نوعيًا، لا من حيث الشّكل وحسب، بل ومن حيثُ القدرةُ الفكريةُ والأخلاقيةُ والاجتماعيةُ[3]، أما (أنداسو) فيعرفها على أنها اعتقادٌ يقوم على فكرة أساسيّة، وهي أنّ مجموعةً محدّدةً من البشر يتمسّكون بكونهم – من الناحية الطبيعيَّة – أسمى وأرقى مكانةً و عِرقاً من بقيَّةِ البشر، ولوجود أوضاعٍ وسماتٍ وصفاتٍ محدّدةٍ، يعتقدون أنّها هي المعيار لتَميُّزهم من غيرهم، وعادة ما يتم توظيف السمات المميزة للجماعة المعنيَّة بالاختيار، إمّا على أساسٍ يتعلّق بالتكوين الجسميّ أو العقليّ، أو على أساسٍ حَضَريّ خالص يتعلّق بإبراز السّمات الثقافية التي تُميّز الجماعة المختارة[4].

أما(محمد البهي) فيرى أنّ العنصرية تقوم على ادّعاء أن شعبًا من الشّعوب أو قومًا من الأقوام أو جنسًا من الأجناس البشرية، أو قبيلةً من القبائل، أو عشيرةً من العشائر أو مجموعةً من

---

[1] البهي، محمد، **العنصرية والإسلام** ، 131.

[2] الزغيبي ، أحمد ، **العنصرية اليهودية** ،(24/1).

[3]) **موسوعة السياسة** ،(249/4.).

[4] **العنصرية في المعتقد اليهودي** ،2.

الناس خاصّةً، تتميّزُ في صفاتها الجسميةِ والعقليةِ عمّا عداها؛ ولذلك فهي صاحبة الفضل في بناء الحضارة الإنسانية و المدنية ومؤهّلة من أجل هذا السبب للقيادة والإمارة على الآخرين[1].

وتقوم العنصريّة على تقسيم الناس على أساس بعض المعايير كلون البشرة ، ونسيج الشَّعر، والقبيلة، والدّين، والتمدُّن، والجنس، والدولة القوية[2].

يرى (عبد العزيز قارة) أنّ العنصرية تبدأ بشعور بسيط ، وبأشياءَ صغيرة، منها: الادّعاء بالجنس الأفضل أو الجنس الأصيل[3]، والعنصرية فرضت نفسها على كثير من الشّعوب واستُغّلت من قِبل مروّجيها لتكونَ أداة تحقير للإنسان وشلّ قدراته من خلال تغذية النزاعات العنصرية والدفاع عن أُسسها الدينية والفلسفية[4] .

يتّضح مما سبق أنّ العنصرية هي اعتقاد قائم على أسسٍ ومعاييرَ تختلف من مجتمع لآخر حسب كلٍّ منها، ونظرته للآخر، إما على أساسٍ دينّيٍ كما هو عند اليهود في أنهم شعب الله المختار،أو عرقيٍّ كما هو عند العرق الآريّ، أو حضاريٍّ كما هو عند الفراعنة، أو سماتٍ وصفاتٍ معينةٍ موجودةٍ بفئةٍ دون أخرى تميّزها عن بقية الناس، وهي قائمة على الكُرهِ والبغضاءِ والتكبّرِ والتعصب مثل التعصب للقبيلة أو في العادات والتقاليد كما في الزواج، وقد تَستغلُّ بعض المجتمعات العنصرية للتحكّم في عناصرَ محدَدة داخلها دون الأخرى والسيطرة عليهم، على اعتبار أنهم دُونٌ أو ربما أقلية، وتتحكّم ثقافة المجتمع بدرجة العنصرية؛ فهي متفاوتة من

---

(1) **التفرقة العنصرية والإسلام** ،109.

(2) **الموسوعة العربية** ،تأليف: ياسين حلاواني ، (2479/5). **الموسوعة العربية الميسرة** ، تأليف: محمد غربال، (2302/2).

(3) **الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان في ميزان الإسلام** ،163.

(4) الديبو ،إبراهيم ،**التفاضل بين البشر** ،503.

مجتمع لآخر أو من حضارة لأخرى، وحسب موضوع البحث فنجد أنّ الحضارة الإسلامية تنبذُ العنصرية وتدعو إلى تركها، حيث يقول الرسول _صلّى الله عليه وسلّم _: (يا أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضلَ لعربيّ على أعجميّ ، ولا لعجمّي على عربّي ، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر ،إلا بالتقوى)[1]. وما حدث بالأندلس ما هو إلا جراء ضعف المسلمين الحاكمين أو نتيجة عدم فهم العناصر الأخرى للتعاليم الإسلامية التي اعتنقت الإسلام عند الفتح .

[1] مسند أحمد : **باقي مسند الأنصار** ، رقم الحديث :22391.

2- العناصر السّكّانية التي حملت الفكر العنصري وأسباب ذلك :

أ- العرب

شَكّل العرب أهمّ سُكان الأندلس، وأبرز عناصر المجتمع، فقد سيطروا عليها منذ البداية، وقد دخل العرب على شكل موجاتٍ متتابعةٍ أو طوالعَ، وأول طالعةٍ عربيةٍ هي طالعةُ موسى بن نُصير عام (93هـ/711م) وعددها نحو ثمانية عشر ألفا[1]، من وجوه العرب والموالي والبربر، أما الطالعة الثانية فدخلت من إفريقيا إلى الأندلس مع الوالي الحرّ بن عبد الرحمن الثقفيّ عام (97هـ/716م)[2]، والثالثة جاءت مع بلج بن بشر القشيري، عام (124هـ/741م)، وتكوّنت من عشرة آلاف، ألفي مولًى، وثمانية آلاف عربيّ، وعُرِفوا باسم (الشّاميين)، لأنهم جاؤوا من كور بلاد الشام المجنّدة، وعُرفت باسم (طالعة بلج) [3].

انقسم العرب إلى قيسيّةٍ ويمانيةٍ، وإلى بلديةٍ وشاميةٍ، فالبلديةُ هي العناصر العربية التي دخلت مع موسى بن نصير ،أي أصحاب البلاد القدماء، والشامية الذين دخلوا في طالعة بلج بن بشر القشيري[4] .

نَشَبت الفتن بين اليمانيةِ والقيسيةِ في عهد الولاة، وقد كان للموقع الجغرافي للأندلس دورٌ كبيرٌ في ذلك، لأنها بعيدة عن مركز الخلافة الأموية في دمشق، ممّا زاد من الشّقاق بين العناصر العربية الفاتحة المختلفة التي يريد كلّ منها أميرًا من عصبيته من القيسيةِ واليمانيةِ، ونتيجة للفتن التي نشبت بين القبائل العربية لجأ العرب إلى الاعتماد على العناصر غير العربية؛ فأدى ذلك

---

(1) الحميدي،محمد،**جذوة المقتبس**،23. ابن الخطيب،لسان الدين،**الإحاطة في أخبار غرناطة**،(60/2).

(2) ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب** ،(25/2) .اشتيوي،أشرف، **الأندلس في عصر الولاة**،176.

(3) ابن القوطية، محمد ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، 41. العبادي،أحمد، **صور من حياة الحرب**،50.

(4) ابن حزم ،علي، **جمهرة أنساب العرب** ، 93.ابن الخطيب، محمد ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، (103/1-104).شلبي ، عمر ، **الشعوبية في الأندلس** ، 109.

إلى إضعاف العنصر العربيّ وظهور عناصر وعصبيات أخرى كان لها دور في بروز الصّراع العنصريّ، الذي تُوِّجَ خاصّة بين العرب أنفسهم من جهة، وبين والعرب والبربر من جهة أخرى .

رأى بعض العرب الذين دخلوا الأندلس في أنفسهم أنهم أرفع مكانةً ودرجةً من غيرهم؛ وذلك يعود أسبابٍ عدّةٍ، حيث وجد العرب أمورًا تتوافر فيهم دون غيرهم، جعلت بعضهم يحمل نزعةً عنصريّةً اتجاه الآخرين، منها أنّ العرب وجدوا أنفسهم أهل القرآن " المعجزة اللغوية "، وبالتالي فضّلوا أنفسهم على غيرهم من الأمم إذ إنّه نزل باللغةِ العربيةِ، قال تعالى :" **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** "[1]، كما أنهم حملةُ الرسالة السّماوية التي نزلت بلغتهم، وقد كُلِّف العرب بنشرها للأمم والشّعوب المختلفة، إضافة إلى أنّهم قد امتازوا من بين سائر الأمم بصفات أربع لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم، وتلك هي: جودة الأذهان، وقوة الحوافظ، وبساطة الحضارة والتشريع، والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم [2].

ويرى بعض العرب أنهم خيرُ المسلمين، مستندين إلى قوله تعالى " **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** "[3]، فالله قد فضّلهم على العالمين، ثمّ منحهم أيضًا شرفَ حَمْلِ رسالته وتوصيلها، مختارًا منهم خاتم المرسلين " محمّد صلّى الله عليه وسلّم " ومرسلًا القرآنُ الكريمُ بلغتهم .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الفتوحاتِ الإسلامية وانتصارَ الإسلام على ما يبدو جعل بعض العرب المسلمين يشعرون بالاستعلاء على غيرهم من المسلمين من غير العرب ، فلم تكن العنصرية عند العرب في الأندلس وليدةَ اللحظةِ، لا ننسى أنّ من حكم الأندلس هم الأمويّون، ونجد أيضًا

---

[1] **يوسف** : 2

[2] أبو زيد ، بكر ، **خصائص جزيرة العرب** ،61.

[3] **آل عمران** : 110

أنّ هناك طائفةً من العنصرية في عهد الدولة الأموية ظلّت كامنةً حتّى تحينَ لها الفرصة أن تظهر بصور مختلفة، إما بصورة اجتماعيّةٍ أو سياسيّة[1] .

ويبدو أنّ العنصرية في الأندلس بدأت تظهر مع بدايات الفتح، ويظهر ذلك من خلال قصّة حرق المراكب وخطبة طارق بن زياد ، كذلك هنالك العنصرية بين العرب أنفسهم التي يُطلق عليها (العصبية)، وقد وُجدت منذ عصر الولاة في الأندلس[2]، ومن صور العنصرية بين العرب أنفسهم ما حصل بين الصّميل بن حاتم الكلابي[3]، وأبي الخطار وكان متعصّبًا لليمانية[4].

ومن الأمثلة على العنصرية أيضًا ما قام به المنصور بن عامر[5] حين استولى على السلطة ، حيث عمل على القضاء على مَن يخشاهم من الأمراء الأمويين في الأندلس؛ وذلك خوفًا من

---

[1] فرض الأمويون في العصر الأموي الجزية على مَن أسلم من الموالي ، كما رفضوا أيّ مشاركة في الحكم لغير العرب ، بل منع الحجاج بن يوسف الثقفي غير العرب من إمامة الصلاة ، لم يتخذ الأمويون هذه السياسة من منطلقات أيدلوجية أو بناءً على مشاعر عنصرية بحتة ، بل وضعوا الأيدولوجيا لمصلحة الدولة ، لجمع أكبر كمٍّ من الضرائب وضمان استقرارها لو بمخالفة الشريعة ، وقد انقلب عمر بن عبد العزيز على هذه السياسية، فجعل الأولوية للمبادئ الإسلامية .فلهاوزن ، يوليوس، **تاريخ الدولة العربية** ، 235–367.

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،80،57. ابن الخطيب، لسان الدين ، **الإحاطة في اخبار غرناطة** ،(465/1).

[3] الصميل بن حاتم الكلابي :ينتمي إلى مضر ، جده شمر بن ذي الجوشن، أحد قتلة الحسين بن علي ، شارك في جند قنسرين الذي بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك إلى إفريقيا ، قاتل مع يوسف الفهري ، عبد الرحمن الداخل عندما طالب بحكم الأندلس في موقعة المصارة .مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 80،57–83.ابن الخطيب ، لسان الدين ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،(465/1).

[4] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،57.ابن عذارى ،أحمد ، **البيان المغرب**، (36/2).

[5] هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ،أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر ، جاء إلى قرطبة لطلب العلم والأدب وسمع الحديث ، وكانت للمنصور همة ترمي بها المرامي . ويحدّث نفسه بإدراك المعالي، فتم له مراده.ابن الأبار، محمد ، **الحلة السيراء**

ثورتهم عليه ، حتّى نفى مَن يصلح فيهم للخلافة إلى البادية، وفي ذلك ثَمّة بيتان من الشّعر، هما :

أَبني أُمّيةَ أينَ أقمارُ الدُّجَى مِنكُمُ وأينَ نُجُومُها والكَوكَبُ

غَابَتْ أُسُودٌ مِنْكُمُ عن غَابِها فَلذلكَ حَازَ المَلِكُ هذا الثَّعْلَبُ [1]

كذلك أبعدَ العرب عن الجيش، واستعاض عنهم بالبربر، وأبعد الصّقالبة القدماء وولّى صقالبةً غيرهم [2]، ويعلّق عبد العزيز سالم على ما قام به المنصور : بتفضيله للبربر على العرب أنه أوجد اختلالًا خطيرًا في الميزان العنصريّ، حيثُ رُجِّحت كفة البربر، ممّا زرع الحقد في نفوس العرب، وحوّلَ العصبية العربية القديمة إلى نوع من التضامن والتكتّل القومّي، ليصبح هدفها الأول مواجهةَ العناصر الأخرى في الأندلس[3] .

إذًا فالعنصريّة في الأندلس لم تكن بين العرب وغيرهم من العناصر، بل كانت أيضًا بينهم أنفسهم، وذلك من خلال الأمثلة التي ذُكرت سابقًا، والتي لها دور في سقوط الأندلس، واستغلال الأعداء هذا الاعتقاد السائد بين العناصر في المجتمع الأندلسيّ .

= ،(268/1–269)،ابن عذارى ، احمد، **البيان المغرب** ، (256/2). ابن بسام ، علي ،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،(243/1).

[1] المقري، أحمد ،**نفح الطيب** ،(591/1).

[2] ابن عذارى،أحمد ، **البيان المغرب** ،(259/2)، ،ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **العبر** ،(189/4)، القحطاني ، علي ، **الدولة العامرية** ، 48،مسعد ، سامية ، **التكوين العنصري**،135.

[3] سالم، عبد العزيز ، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** (83/2 –84). الحلبي ،رامز ،**عوامل سقوط الأندلس** ،93.

ب- البربر

يُعدّ البربر من العناصر الأولى التي دخلت الأندلس، إذ إنّ معظم الجيش الفاتح كان منهم، بقيادة طارق بن زياد[1]وانطلقت بعد افتتاح شبه الجزيرة الأيبيرية و ازدادت هجرتهم إلى هناك، واستمرّت هذه الهجرة دون توقّف طيلة الحكم الإسلاميّ للأندلس[2]، ويرجع البربر الذين دخلوا إلى الأندلس مع الفتح وبعده إلى قبائل مطغرة، ومديونة، ومكناسة، وهوارة، وكلّها من البربر البتر[3]، وقد زاد من هجرات البربر أخبار الفتح والغنائم وخيرات الأندلس ، وفي ذلك يروي المقري: " وتسامع الناس من أهل العدوة بالفتح على طارق وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كلّ وجه، وخرقوا البحر على كلّ ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق " [4] .

ويبدو أن التحاق البربر بجيش طارق لفتح الأندلس، كان أيضًا لإشباع روح الجهاد والدين، إضافة إلى إثباتهم أنهم ليسوا أقلّ شأنًا من العرب الفاتحين، حيث إنّ العرب تفوّقوا على غيرهم برسالة الإسلام، ثمّ بالفتوحات ونشر الإسلام بين الأمم؛ لذلك أراد البربر أن يثبتوا للعرب بأنهم

---

[1] ابن خلكان ،شمس الدين،**وفيات الأعيان**،(320/5). مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 6.ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** ،(8/2).

[2] حقي،محمد،**البربر في الأندلس**،31.

[3] يقسم البربر إلى قسمين حسب النسب والعلاقات الدموية على برانس وبتر، فهناك مَن يقول إنّ بر جد البربر ترك ولدين هما برنس ومادغيس، فانحدر البرانس والبتر من مادغيس ، وهناك رواية تقول: إنّ البرانس من نسل مازيغ بن كنعان ، والبتر من أحفاد بر بن عيلان ،من برنس ، قسّمَ النسابون قبائل البربر حسب انتمائها، فجعلوا قبائل البرانس تتكون من : مصمودة، وغمارة ، وأورية ، وكتامة ، وأوريغة ، وإزداجة، وعجيسة ، وصنهاجة، ولمطة ، وهسكوة ، وجزولة ، ومسطاسة ، وهوارة ، ولكلّ هؤلاء شُعب كثيرة وُبطون مختلفة وأفخاد وعمائر ، وتضمّ قبائل البتر : زواغة ، وزناتة، وزواوة ، ونفزة ، ولواتة، ومزاتة ، ونفوسة، ومغيلة ، ومطناطة ومطغرة ومديونة وصجينة .ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **العبر** ، (6/ 117-120)، ابن حزم ، علي ، **جمهرة أنساب العرب** ،459. مؤلف مجهول ، **مفاخر البربر** ،76. مؤنس،حسين،**فجر الأندلس**،421.

[4] المقري ، أحمد ، **نفح الطيب** ، (243/1) .

ليسوا بأقلّ منهم فدخلوا الإسلام ، وكان جيش فتح إسبانيا منهم، وكأَنهم يريدون القول للعرب: إنكم لستم بأفضل منّا، وهذا يدلّ على بداية ظهور العنصرية بين العرب والبربر؛ لذلك نجد البربر يُرجعون أصولهم إلى العرب.

يقول الفيروز أبادي: إنّ البربر هم مِن ولدِ قيس عيلان، أو هم بطنان من حمير صنهاجة وكتامة صاروا إلى البربر أيام فتح إفريقش الملك إفريقيا " [1]، ويقول العبادي : إنّ البربر عمومًا من أصل حامي، اختلطوا قديمًا بأصول ساميةٍ، والعرب أرجعوهم إلى أصولٍ عربيةٍ ساميةٍ[2] .

يبدو أنّ إرجاع البربر نسبَهم إلى أصولٍ عربيةٍ ترجع إلى عدم ظهورهم بأنهم أقلّ أو أدنى من العرب الفاتحين، وعلى ما يبدو فإنّ قيامهم بذلك ما هو إلا ردّة فعل على نظرة العرب إليهم (على أنهم أقلّ منهم شأنًا ودونًا منهم) وهي نظرة لا تمتّ للشريعة الإسلامية بصلة ولا تمثّلها ، وهذه العنصرية المبكّرة بين الطرفين تمّ التعبير عنهاعلى شكل ثورات، وتُعتبر ثورة البربر عام (123 هـ/644م) مثالًا على ذلك ، يقول صاحب أخبار مجموعة: إنّ سبب اندلاع هذه الثورة هو الحقد على العرب، وكذلك اقتداءً بثورة شمال إفريقيا[3] .

ورغم إحساس العرب بالتفوق ورغبة البربر بتقليدهم والالتحاق بهم ، إلا أنّ ذلك فعليًا لم ينقص من البربر ، فقد اتخذهم العرب موالي لهم ، فمن ناحية العرب كان من مصلحتهم وبخاصّة حكام بني أمية الاستكثار من الأنصار لضمان استمرارية دولتهم والتغلب على منافسيهم من العرب ،

---

[1] **القاموس المحيط** ، 349.

[2] **في تاريخ المغرب والأندلس** ،15.

[3] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 42.

ويدل على ذلك ما قام به عبد الرحمن الداخل، فكوّن منهم جيشًا من حوالي (40 ألف رجل) [1]، ويذكر صاحب أخبار مجموعة موقفًا لهشام الأول، قال فيه : " اصطناع رجل واحد أحبّ إليّ من ضَيْعة "[2].

ومن صور العنصرية أيضًا سيطرة العرب على معظم الأراضي الخَصبة واستقرارهم في المدن الكُبرى، لاسيما قرطبة، وتركت العمل في ضِياعِها للبربر، كما أنّ بعض العرب استأثروا بالسلطة، إضافة إلى فرض الجزية عليهم زمنَ والي المغرب عُبيد الله بن الحباب رغم إسلامهم [3] ، ومن أسباب الخلاف أيضًا _ كما يرى ابن حزم _ أنّ القوم ساروا على المبدأ الذي يرى بأنّ لكلّ يد ما أخذت؛ ولذلك فقد تعاقب حُكّام الأندلس، قوم في إثر قوم ، فغلب قوم على آخرين ، فعندما دخل البربر والأفارقة تمكّنوا من السيطرة على كثير من القرى دون قسمة، ثمّ دخل الشاميون في طالعة بلج بن بشر القشيري ، فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عمّا كان بأيديهم كما فعل البربر [4] .

---

[1] المقري ، أحمد، **نفح الطيب** ، (36/4) حقي،محمد، **البربر في الأندلس** ، 116. عنان، محمد ، **دولة الإسلام في الأندلس** ،(205/1).

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،109–110. الضيعة : الارض المغلة . **المعجم الوسيط** . ظهرت الضِيّاع في الأندلس في أول الأمر، فقد ذكر ابن القوطية أنّ أبناء غيشطة حالفوا طارق بن زياد على " أن يمضيَ لهم ضِياع أبيهم وكانت 3000 ضَيْعة سُمّيت بعد ذلك صفايا الملوك " **تاريخ افتتاح الأندلس** . مؤنس ، حسين ، **فجر الأندلس** ، 603–604.

[3] ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** ، (51/1)، عنان، محمد ، دولة **الإسلام** ،(203/1).

[4] ابن حزم ، علي ، **رسالة التلخيص** ، (175/3–176).

ويمكن اعتبار عهد الأمير محمّد بن هشام بن عبد الجبّار[1] صورةً واضحةً على العنصرية تجاه البربر، إذ إنه حقد عليهم لمساندتهم للحاجب المنصور، فأساء إليهم وبطش بهم، وبالتالي زاد حقدهم عليه وكرههم له، فكانوا يضمرون له الشّرَّ ويتحيّزون الفرصة المناسبة للخروج عليه، وفي ذلك يقول بعضهم :

قَدْ قَامَ مَهْدينا ولكِنْ بملّةِ الفِسّقِ والمُجُونِ

وشَاركَ النّاسَ في حَريمٍ لولاهُ ما زالَ بالمَصُونِ

مَنْ كَانَ مِنْ قبلُ ذا أَجما فاليومَ قد صَار ذَا قُرونِ[2]

واشتعلت نيران الفتنة بقرطبة[3] بين البربر والعامة من الأندلسيّين، وقُتل عدد كبير من البربر، ولم تنتهِ الفتنة عند هذا الحدّ، بل عادت ليقوم البربر ويقاتلوا ابن عبد الجبّار وينتصروا عليه[4].

---

[1] محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، لقبه المهدي ، وكنيته أبو الوليد، أمه أم ولد اسمها مزنة ولقبها كَبارة ، لقب نفسه بالمهدي ولقبته العامة ، المنقفش لهشاشته وطيشه وخفته وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق ، ولي مرتين: الأولى يوم خلع هشام بن الحكم الثاني يوم قسامه يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة (399هـ/1008م) ، وانخلع لسليمان بن الحكم عام(400 هـ/1009م) .ابن عذارى ،أحمد ، **البيان المغرب** ، (50/3).المقري ، أحمد ، **نفح الطيب** ، (426/1).

[2] المقري، أحمد ، **نفح الطيب** ، (426/2-427).

[3] قرطبة : تقع شرق كورة البيرة ، وبينهما تسعون ميلًا ، أرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وهي قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها وهي مستقر خلافة الأمويين في الأندلس و بها المسجد الجامع وأسواقها كثيرة عامرة . الإدريسي ، محمد ، **نزهة المشتاق** ،(578/2)، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، (368/4)

[4] المقري ،أحمد ، **نفح الطيب** ،(87/3-96)، ابن الخطيب ، لسان الدين ، **أعمال الأعلام** ،(261/3) ، الضبي ،أحمد، **بغية الملتمس** ،20.

بلغت العنصرية ذروتها في هذه الفترة من الحكم الأمويّ للأندلس، حيثُ تُعدّ في أواخر الحُكم، فكلّما ضَعُف الحكم ازدادت العنصريةُ وازدادت الفتن، فالتخلص منها مرهون بقوة الدولة وترابط عناصرها.

ت- المولدون

ظهر هذا العنصر من زواج المسلمين، سواء كانوا عرباً أو بربرًا من نساءٍ أعجميّاتً، سواء كنّ من الإسبان أو غير ذلك، وديانتهم الإسلام، أقبل الفاتحون على الزواج من أهل البلاد، فتزوج الكثير منهم من الإسبانيات؛ لأنّ الفاتحين تركوا نساءهم في بلادهم الأصلية[1]، وأول مَن أقبل على الزواج من نصرانية هو الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير، حيث تزوّج بأرملة لذريق (أم عاصم)[2]. وهذا يعني أنّ المولّدين هم طبقة من المسلمين الجُدد الذين لم ينصهروا تمامًا في نسيج المجتمع العربيّ الإسلاميّ، بالرغم من أنّ غالبيتهم كانت نتيجة الزواج بين المسلمين والسّكّان الأصليين، مثّل المولّدون نسبةً مهمّة في الأندلس، خاصّة في الجزء الشّرقيّ، حيث احتكّوا بنصارى الأندلس والقشتاليين[3] في الشمال الشرقيّ، وبسبب اتصالهم اليوميّ مع جيرانهم النصارى صَعُب انصياعهم للدولة الإسلامية، إضافة إلى تذمّرهم من احتكار العرب للسلطة المركزية[4].

---

[1] ابن حيان ،حيان ، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ،70،16-71.اشتيوي أشرف ، **الأندلس في عصر الولاة** ، 179.

[2] مؤلف مجهول ،**أخبار مجموعة**،20.

[3] **القشتاليين** : نسبة إلى مملكة قشتالة وهي إقليم عظيم في الأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعها سقطت بيد الإفرنج .الحموي ، يا قوت، **معجم البلدان**، (235/4).

[4] ولد أن،محمد الأمين،**النصارى واليهود**،24.

تحول موقف المولّدين تجاه العرب إلى التمرّد والاستقلال، بعد أن كانوا يطمحون للوصول إلى الحكم، ومن الأمثلة على حركات المولّدين، الثورة التي قاموا بها في مدينة طليطلة[1] في عهد الإمارة، حيث ثار المولّدون على الأمير الحكم الأول[2] (181هـ/797م)، وابنه عبد الرحمن الثاني[3].

أسهم المولّدون في الكثير من الثورات العنصرية التي كانت تقوم على حكومة قرطبة، وفي طليطلة[4]، في عهد الأمير الحكم بن هشام (180–206هـ/796–822م) ، ويرجع سبب هذه الثورات إلى اعتماد الحَكم على العنصر العربّي والميل إليه، ممّا أدى إلى شُعور المولّدين بشيء من ضياع حقوقهم أنهم مبعدون عن أمور الدولة ، وقد زادت الفجوة بينهم وبين الأمير الحَكم، فقد رَأَوّا أنه سلبهم حقوقهم السياسيّةَ والاجتماعيَّة[5] .

---

[1] طليطلة : مدينة بينها وبين قرطبة تسع مراحل، وكانت عاصمة مملكة القوت، افتُتحت عام (92هـ/711م)، وأصبحت بعد الفتح من أعظم القواعد الإسلامية .الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ،(4/39–40)، الحميري ، محمد ، **الروض المعطار** ،293.

[2] الحكم الأول : هو الحكم بن هشام ، وكنيته أبو العاص، المعروف بالربضي، بُويع عقب وفاة والده بأيام قلائل عام (180هـ/796م)، وهو في السادسة والعشرين من عمره ، وكان شجاعًا باسلًا وأديبًا مفتيًا وخطيبًا مفوهًا ، وشاعرًا مجودًا.ابن الأبار، محمد، **الحلة السيراء**، (1/43–44).مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 125.

[3] السامرائي،خليل وآخرون،**تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**،121

[4] نفسه،121–122.

[5] ابن القوطية ، محمد ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ،46.

اندلعت ثورة للمولّدين في طليلطلة عام (181هـ/797م)، وتولّى قيادتَهم عبيدةُ بن حميد[1] ، وبرز حينها الشاعر غريب الطليطلي[2] الذي كان يشعل شعرُه روحَ الثورة، أَسندَ الحَكم إلى عمروس بن يوسف[3] مهمة إخماد الثورة على الرغم من أنه مولّدي .

واندلعت في عام (202هـ/817م) ثورة أخرى في قرطبة، عُرفت باسم ثورة الربض، وسبقها ثورة قبلها عام (189هـ/805م) وكان سبب هذه الثورة العنصرية التي حملها الفقهاء؛ وذلك أنّ الحَكم قد حدّ من نفوذهم الذي اكتسبوه في عهد أبيه فحقدوا عليه [4]، وجّه الفقهاء اللوم إلى الحَكم بسبب سلوك حرسه، فصاروا يسبّون الحَكم ويشتمونه أمامهم ، يقول ابن الأثير :" وصاروا يتعرّضون لجنده بالأذى والّسبّ إلى أن بلغ الأثر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان

---

[1] عبيدة بن حميد : اختلف المؤرخون حول اسم هذا الزعيم المولد ، أطلق ابن سعيد المغربي عليه (ابن خمير) ، وابن خلدون أطلق عليه (ابن عمير) أما ابن عذارى وابن الأثير والنويري فيسمّونه (عبيدة بن حميد) .ابن سعيد ، نور الدين ، **المغرب في حلى المغرب**،(40/1). ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **العبر** ، (273/4).ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** ، (69/2).ابن الأثير ، عز الدين ، **الكامل في التاريخ** ، (105/5).النويري ،**شهاب الدين** ، **نهاية الأرب** ، (181/22).

[2] غريب الطليطلي :هو غريب بن عبد الله الطليطلي ، شاعر قديم مشهور الطريقة في الفضل والخير. المقري ، أحمد ، **نفح الطيب**،(332/4).

[3] عمروس بن يوسف : هو من بني عمروس، وجده الأكبر عمروس بن يوسف وهو من المولّدين وأصله من مدينة وشقة، وكان في بداية أمره غلامًا لعيشون الأعرابي والي جرندة ، ثمّ التحق بخدمة مطروح بن سليمان الأعرابي الثائر على الأمير عبد الرحمن بن معاوية بسرقسطة في الثغر الأعلى، وسرعان ما انقلب عمروس على سيده مطروح واشترك في قتله ، ثم قدم على قرطبة وتمتع بمكانة كبيرة عند أمراء بني أمية، خاصة الأمير الحكم بن هشام وجعله واليًا على طلبيرة .ابن حيان ، حيان ، **المقتبس** ،608.العذري ، أحمد ، **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار** ،26–29.ابن القوطية ، محمد ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، 65.العبادي ، أحمد ، **في تاريخ المغرب والأندلس** ، 129،عنان ، محمد ، دولة الإسلام ،(239/1).سالم ،السيد عبد العزيز ، **المسلمون وآثارهم في الأندلس** ، 222.

[4] ابن القوطية، محمد ،**تاريخ افتتاح الأندلس** ،50.ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** ،(106/2)، المقري ، أحمد ،**نفح الطيب** ،(322/1).

و الصلاة يا مخمور الصلاة..."[1] ،فاستجاب المولّدون لتحريض الفقهاء الذين أرادوا بذلك تحسين وضعهم الاجتماعيّ والسياسيّ .

اندلعت الثورات ضدّ الحكم لاعتماده على العنصر العربّي، بالتالي أظهر ميلًا عرقيًا، ممّا أدى إلى إحداث خلل في الانسجام القائم على مساواة الإسلام وعدله، وإلى يقظة العنصرية بين العناصر السّكّانية[2] .

بدأت الأحداث العنصرية تتوالى في عصر الإمارة وتزداد منذ عهد الأمير محمّد بن عبد الرحمن الثاني (238-273هـ/852-886م) إلى ولاية عبد الرحمن بن محمّد الناصر (300-350هـ/912-961م)[3]،فكانت حركات المولّدين ذات طبيعةً عنصريةٍ، قائمة على الكراهية للسّكّان والأمراء من العرب بسبب سوء معاملتهم لهم، وبسبب تحمّلهم عبء الضّرائب دون أن يكون لهم نصيب من ثروات البلاد ومناصبها [4].

وعلى الرغم من إسهام المولّدين في الكثير من الفتن، إلا أنّ جُلّ أمراء الأندلس وخُلفائها من أصل مولّد تجري في عروقهم دماء غير عربية، وبخاصّة الدمّ الإسبانّي من جهة الأمهات أو الجدات، حيث كان عبد الرحمن الداخل من أمّ ولد بربرية، تُسمّى (راح أو رداح)، وابنه هشام من

---

[1] ابن الأثير ، عز الدين ، **الكامل في التاريخ** ، (172/5).

[2] شلبي ، عمر ، **الشعوبية في الأندلس** ،57.

[3] عبد الرحمن بن محمّد الناصر :هو أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو المطرف(277-350 هـ/891-961م) ، أمه أم ولد تُسمّى (ماريا أو مرته أو مزنة) وجدّه السادس هو عبد الرحمن الداخل وُلد في قرطبة وعاش فيها ، عاش يتيمًا فقد قتل عمه أباه ، وكان عبد الرحمن شديد النباهة والنبوغ .ابن الأثير ، عز الدين ، الكامل في التاريخ ،(467/6).ابن عذارى ،أحمد ، **البيان المغرب**،(156/2).الذهبي ،شمس الدين ، **سير أعلام النبلاء** ،(265/8).الصفدي ، صلاح الدين ، **الوافي بالوفيات** ،(136/18).

[4] العبادي ، احمد، **في تاريخ المغرب والأندلس** ،128. عبد الحليم ، رجب ،**العلاقات بين الأندلس**،**51**.

أمّ ولد تُسمّى (زخرف)، وعبد الرحمن الناصر، من أمّ ولد تُسمى (مزنة)، وهشام المؤيد بن الحكم المستنصر من أمّ ولد بشكنسية تدعى(صبح)[1].

ث-المستعربون

عاش النصارى إلى جوار المسلمين في الأندلس، حيث تمتّعوا بحقوق كاملة، ممّا كان له الأثر الكبير في انفتاحهم على الثقافة والتقاليد العربية، فقد تعرّبت أعداد كبيرة منهم، وبسبب ذلك أطلق مصطلح (مستعربون) على النصارى الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية في الأندلس ، واحتفظوا بديانتهم واستعربوا ثقافيًا، حيث استخدموا اللغة والتقاليد العربية[2] .

واختلفت المصطلحات التي استعملتها المصادر للإشارة إلى النصارى حتّى العهد المرابطّي في الأندلس، فاستُعمِلَ مصطلح " الروم " للتعبير عن كلّ نصارى الغرب المسيحيّ [3]، بينما استَعمل مؤرّخون آخرون لفظ (النصارى) أو(النصارى المعاهدون)[4] ، أو(المعاهدون)[5] ، ونصارى الذمة ، تمييزًا لهم عن اليهود ، كما كانوا ينسبونهم أحيانًا إلى المدينة التي يقطنونها [6]، في حين

---

[1] المراكشي،عبد الواحد،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،23-27.

[2] **المستعربون** : مصطلح كان يُطلق على أولئك الذين احتفظوا بديانتهم النصرانية، وإن ظلّوا رعايا للدولة الإسلامية بحكم كونهم أهل ذمة، وقد تأثر هؤلاء النصارى بأوضاع من عايَشوا من المسلمين فاصطنعوا اللغة العربية الإسلامية وأصبحوا ينتمون إلى عالم الحضارة العربية الإسلامية، التي رَأَوْها أسمى بكثير ممّا كان عليه التراث الحضاريّ الرومانيّ ، وهذا ما يفسّر تسمية هذه الطائفة باسم المستعربين .أبو الأصبغ، ابن سهل، **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس**،4.ولد أن ، محمد الأمين ، **النصارى واليهود** ،13.

[3] ابن عذارى، **البيان المغرب** ،(102/4).مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،128.

[4] الونشريسي، أحمد، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، (56/8).

[5] ابن عذارى ،أحمد، **البيان المغرب** ،(70/4-71).ابن الخطيب ، لسان الدين ، **الإحاطة** ،(114/1-119).

[6] ابن حيان ، حيان ، **المقتبس**، 64.

أُطلِق على نصارى الأندلس المحاربين (عجم الأندلس)[1]، وعلى المسيحيين الذين خضعوا لأحكام الذمة (الروم البلديون)[2]، وأُطلق عليهم لفظ (المماليك) أو (العلوج)[3]، أما الألفاظ الأخرى مثل (الروم والكفرة، والمشركون)، فكانوا يقصدون بها نصارى الشّمال [4].

ورغم المعاملة المتسامحة التي لقيها النصارى المعاهدون، إلا أنهم لم يْنسَوْا أنّ العرب والبربر هم الذين أزالوا دولتهم، واستوْلَوا على بلادهم وسَبَوْا نساءهم وبناتهم ونعموا بخيرات وطنهم[5]، كما أنّ ميل معظم المسيحيين إلى الاستعراب قد أغاظ بعض رجال الكنيسة، ولعلّ أكثر ما ضايقهم تمتُّع العرب المسلمين بالحياة الرغيدة، وكان يشعل هذا الحقد ما كانوا يتعرضّون له من العامة في قرطبة ، وتحاملهم على القِساوسة وإهانتهم حينما كانوا يسيرون في الشوارع[6] .

تشرّب المستعربون التحريض ضدّ المسلمين من رجال الدين المسيحيين ، حيث كان يخيفهم تقدّم الإسلام في الأندلس، هذا وإن دلّ على شيء، فإنه يعبّر عن مظهر من مظاهر العنصرية الدينية ، فليس هناك هدف من هذا التحريض سوى الطّعن بالدين الإسلاميّ، وهناك أيضًا تحريض من الممالك النصرانية الشمالية، التي كانت تُشيع روح الفتنة من أجل تحقيق الانقسام في الأندلس .

---

[1] شلبي، عمر ، **الشعوبية في الأندلس** ، 136.

[2] ابن عذارى ،أحمد، **البيان المغرب**،(39/4).

[3] ابن خلكان ،شمس الدين ، **وفيات الأعيان** ،(51/5).ابن عذارى ،أحمد، **البيان المغرب**،(23/4).

[4] ابن عذارى ، أحمد،**البيان المغرب**، (218/2،208،187)

[5] شلبي ، عمر ، **الشعوبية في الأندلس** ، 137.

[6] مسعد، سامية ، **التكوين العنصري** ،87.القسيس: هو خادم دين المسيحيين وإمامهم في أمور عبادتهم ، له الصلاحية في إقامة المناسك.عمر ،أحمد ،**معجم اللغة العربية المعاصرة** ،1810.

ورغم المكانة التي حظي بها المستعربون خلال الحكم الإسلاميّ في الأندلس إلا أنّ موقفهم من الوجود الإسلاميّ في الأندلس لم يكن إيجابيًّا، وقد عبروا عن ذلك على شكل ثورات، وتُعدّ ثورة عمر بن حفصون [1]عام (265هـ/878م)، أهم ثورة شارك فيها المستعربون ضدّ الحكم الإسلاميّ[2].

إضافة إلى ذلك، فقد نشأ تنافر بين جماعات المستعربين ، إذ كانت الغالبية منهم تَعدُّ المسيحيين الذين يشغلون وظائفَ حكومّيةً، خونةً ومتعاونين مع السلطة الإسلاميّة، وكان رجال الكنيسة يُحرِّضون عامة نصارى الأندلس ضدّ هؤلاء، ويردّدون في صلواتهم أدعيةً تفيض حقدًا وكراهيةً على المسلمين ، وينظرون إليهم على أنهم محتلّون[3] .

إذًا لم تتوقّف حدود العنصرية عند المستعربين على المسلمين وحدهم، بل تعدتهم إلى المسيحيين منهم، فنرى أن العنصرية _هاهنا_ قائمة على معتقداتٍ دينيةٍ، هدفها الوحيد هو الحدّ من سيطرة المسلمين على الأندلس وإخراجهم منها .

---

[1] عمر بن حفصون :هو عمر بن حفصون بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش القس ،ثار بالأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وبدأت ثورته عام (270هـ/883م) في جبل بريشتر فيما بين رنده ومالقة، وانضم إليه الكثيرون من المولّدين والخارجين على الطاعة والمفسدين ،واستولى على غرب الأندلس إلى (رندة) وعلى السواحل من (استجة) إلى البيرة، وظل مستمرًا في ثورته حتى مات عام (306هـ/918م) فخلفه أبناؤه إلى أن قضى على ثورته عام (315هـ/927م) في عهد عبد الرحمن الناصر .ابن خلدون ،عبد الرحمن ، **العبر** ،(1340/4)،ابن عذارى، أحمد ، **البيان المغرب** ،(108/2).

[2] ابن حيان ، حيان ، **المقتبس**، 393.

[3] صفي الدين ، محي الدين ، **المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس** ،115.

فمنذ أن فتح المسلمون الأندلس رفضت طائفة من سُكّانها الخضوع لهم، وآثرت الفرار نحو المناطق النائية ، ومن أشهر هؤلاء بلاي أو بلايو[1] .

جـ الموالي

تعني كلمة(الموالي) كلّ مَنْ أسلم من غير العرب ، فالموالي إما أن يكونوا في أصلهم أسرى حرب استُرِقوا، ثمّ أُعتِقوا، وإما أن يكونوا من أهل البلدان المفتوحة، انضمُّوا حين إسلامهم إلى العرب، فصاروا موالي بالحلف والموالاة[2] .

جاء الموالي إلى الأندلس مع جيش موسى بن نصير عام (97هـ/716م)، وفي طالعة بلج بن بشر القشيري عام (124هـ/742م)، وكانت هذه الطالعة تتألف من ثمانية آلاف من العرب وألفين من الموالي [3].

أغلب الموالي من البربر في المغرب الذين دخلوا في طاعة بني أمية،منهم بنو وانسوس[4]، أما الباقي فكانوا من أهل الشام والعراق وبلاد الفرس، وقد ازداد عدد الموالي في الأندلس، حيث

---

[1] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،109.ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب** ،(29/2).المقري،أحمد، **نفح الطيب**، (17/3).

[2] ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **المقدمة** ،90.

[3] ابن القوطية، محمد ،**تاريخ افتتاح الأندلس**،40.

[4] بنو وانسوس: اختلفت المصادر في نسب بني وانسوس، فقيل: هم من قبيلة مغيلة البربرية ، وقيل: هم من قبيلة مكناسة البربرية، ذكر ابن حزم أنّ بني وانسوس هم أحد بيوتات البربر في الأندلس يرجعون إلى قبيلة مكناسة، والجد الأعلى لهذه الأسرة هو وانسوس الذي يُلقب بأبي قرة المغيلي ، وكان من رؤساء البربر، إذ كان يسكن طنجة مع زوجته حينما دخلها عبد الرحمن بن معاوية بعد هروبه من الشام، إذ كان يحكم إفريقيا في ذلك الوقت عبد الرحمن بن حبيبي الفهري، وتحدثت المصادر عن أول اتصال لهم بالأمويين، فذكر ابن القوطية أنّ بني وانسوس هم موالي عبد العزيز بن مروان بن الحكم ببلاد البربر، في حين ذكر ابن الأبار أنّ وانسوس بن يربوع المكناسي هو مولى سليمان بن عبد الملك.مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،74.المقري، أحمد ، **نفح** =

انضم إليهم مِن كان في الأندلس قبل ذلك من موالي بني أميّة، وبدأوا يُكوّنون حزبًا مهمًّا وقويًا يُعرف بالأمويين[1]. دخل عدد من البربر في ولاء بني أمية بعد الفتح الإسلاميّ، مثل بني مرين[2] وغيرهم، فأصبحوا موالي اصطناع " مولى الموالاة أو الحليف وهو مَن يمنحه الخليفةُ شرفَ الانتساب إليه، ويستخدمه في شؤونه ويجري عليه الأرزاق فيصير مولى له "طلبًا للحماية الأموية لهم [3]. واستطاع عبد الرحمن بن معاوية، عن طريق الموالي، سواء البربر أو غيرهم تأسيس دولة لبني أميّة في الأندلس بعد أن سقطت في المشرق على يد العباسيّين [4].

ويذكر لنا ابن حَيّان الدور المهمّ الذي أدّاه الموالي في تاريخ الأندلس، حيث اعتمد عليهم بنو أمية كثيرًا، وقلّدوهم أهمّ المناصب في دولتهم، لتفانيهم في الإخلاص لها، فكان منهم الوزراء والكُتّاب والقادة والقُضاة، وقد نجح الموالي في كورة[5] إلبيرة[6]، في تأسيس دُويلة لهم، زمن

=**الطيب**، (333/1).ابن حزم، علي، جمهرة **انساب العرب**،496.ابن القوطية ،محمد،**تاريخ افتتاح الأندلس**،46.ابن عذارى ،أحمد،**البيان المغرب**،(41/2).الخفاجي، محمود، **بنو وانسوس ودورهم السياسي** ،123.

[1] ديودار ،حسين،**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،30

[2] بنو مرين: يَرجع جميع النّسابة والمؤرّخين بني مرين إلى مجموعة قبائل زناتة البربرية؛ وذلك بقولهم إنّ بني مرين فخد من زناتة ، ويُعدّ بنو مرين أنفسهم أعلى قبائل زناتة حسبًا وأشرفها نسبًا ،إذ يرجعون جذورهم القبلية إلى أصول عربية،وهو أمر يبين مدى إدراكهم لأهمّية النسب والأصول في النواحي القبلية والاجتماعية والسياسية.القلقشندي، أحمد، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، 176.ابن الأحمر ، إسماعيل ،**روضة النسرين في أخبار بني مرين**، 8.حسن، عامر ،**دولة بني مرين**،86.

[3] ابن خلدون،عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**،96.

[4] ابن القوطية، محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،44-47.

[5] **كورة** : كلُ صقع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة تجمع اسمها، وأصلها يوناني . الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ،(540/1).

[6] إلبيرة : من كور الأندلس، نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه، ثمّ خالطهم العرب بعد ذلك، وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس فخربت=

دويلات الطوائف الأولى التي تمزّقت فيها وحدة الأندلس، وعمل الثّوار في سائر الأنحاء على شقّ عصا الطاعة على بني أمية[1].

ويُعدّ الصقالبة[2] من أهمّ الموالي الذين اعتمد عليهم العرب، وقد أُطلق اسم (صقلبي) في الأندلس على الرقيق المجلوبين من أوروبا والمناطق الشمالية، وذلك في القرن الرابع الهجري، حيث إنهم كانوا يُجلبون من سواحل البحر الأسود، وجليقية[3]، ومن إيطاليا ومن قطلونية[4]، وفي ذلك قال ابن حوقل ما يلي: "وبالأندلس غير طراز يرد إلى مصر متاعه، وربّما حمل منه شيء إلى أقاصي خراسان وغيرها. ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان الروقة من سبي

= في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة ، وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال .الحميري ، محمد ، **الروض المعطار**،28–29.

[1] ابن حيان، حيان، **المقتبس**،32.

[2] الصقالبة: والصقالبة قبيل من ولد يافث، وبلدهم مستطيل واسع ولغزاة خراسان من ناحية البلغار بهم اتصال، فهم إذا سبوا إلى هنالك تركوا فحولة على أحوالهم مقرورين على صحة أجسامهم، وكان أغلب الصقالبة يُؤتى بهم أطفالاً يتّربَوْن تربية عسكرية، يُدَّربُون على الخدمة في القصور والانخراط في سلك الجندية ليكونوا جنودا في الحرس والجيش، وكان المستخدمون منهم في القصور يخصّون للقيام بخدمةالحريم. الوردي، سراج الدين، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب** ،446.أحمد ، الشفيع ، **يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل** ، 5، ياقوت ، الحموي، **معجم البلدان** ،(216/1). ابن حوقل، محمد، **صورة الأرض**،106–105. ولد أن،محمد الأمين،**النصارى واليهود**،25

[3] جليقية : الجلالقة مِن ولد يافث بن نوح ، وبلدهم جليقية ، وهي تلي الغرب وتنحرف إلى الجوف ، وكانوا حوالي مدينة براقرة التي في وسط الغرب ، وبراقرة من قواعد الروم ، وتنتهي أحواز الجليقيين في الجوف إلى البحر المحيط وفي القبلة إلى أحواز مدينة طلسونة وقاعدتهم مدينة أقش .الحميري ، محمد ، **الروض المعطار** ، 169.

[4] قطلونية : من مدن قشتالة، تقع شمال نهر دويرة بقرب شنت اشتبين، وهي مدينة عامرة متصلة المزروعات قائمة الغلات بينها وبين اشتورية 198 كم شمالًا . الإدريسي ، محمد ، **نزهة المشتاق** ، (873/2).

إفرنجة وجليقية والخدم الصقالبة، وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان، فمن جلب الأندلس، لأنهم عند قربهم منها يخصون ويفعل ذلك تُجّار اليهود[1] .

ويُعدّ الأمير الحكم بن هشام، أول مَن اتخذ منهم حرسًا خاصًا، فأحضر منهم خمسة آلاف، وأطلق عليهم اسم (الخُرس)؛ لأنهم لا يتكلّمون العربية، ثمّ ازدادت أعدادهم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث وصل عددهم في عهده بقرطبة وحدها حوالي ثلاثة عشر ألفًا وسبعمائة وخمسين[2].

وقد كثُر عددهم في عهد المستنصر وابنه هشام، ووصل الكثير منهم إلى النفوذ والسُّلطة، وعلى رأسهم فائق وجوذر[3]، اللذان كان لهما دور كبير في عهد الأميرين السابق ذكرهما[4]، ونبغ جزء منهم في العلم والأدب، إضافة إلى الحرب والسّياسة، ومنهم خازن مكتبة المستنصر، ويُسمّى تليد، ومن الصقالبة _ ابن حبيب الصقلبي_ الذي ألف كتابًا سمّاه (الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة)[5].

---

[1] ابن حوقل، محمد، **صورة الأرض**،106–105 للمزيد ينظر :ابن الوردي، سراج الدين، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب** ،446.أحمد ، الشفيع ، **يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل**، 5، ياقوت ، الحموي، **معجم البلدان** ،(216/1). ولد أن،محمد الأمين،**النصارى واليهود**،25

[2] ديودار ،حسين،**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،55.

[3] لمّا مات الحكم، كان الصقالبة أكثر جمعًا وأحد شوكة، يظنون أنّ لا غالب لهم وأن الملك بأيديهم. وكانوا نيفًا على الألف محبوب؛ فحسبك بما يتبعهم؛ وكان رأسهم فائق المعروف بالنظامي، صاحب البرد والطراز؛ ويليه صاحبه جوذر صاحب الصاغة والبيازرة؛ وإليهما كان أمر الغلمان الفحول بخارج القصر.ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** ،(259/2).

[4] عبد البديع،لطفي،**الإسلام في إسبانيا**،37.

[5] نفسه،37.

لعب الصقالبة دورًا مهمًّا في الحياة السياسية بالأندلس، حيث تدخلوا في شؤون الحكم، فكانوا يولون الأمراء ويعزلونهم، وشاركوا في الفتن والمؤامرات التي اندلعت في القرن الخامس الهجري في قرطبة، وقد استفادوا من انحلال الأندلس؛ لأنه أصبحت بيدهم مقاليد الأمور في الشرق منها[1].

ذكرنا أنّ العرب اعتمدوا في تقويم دعائم سلطتهم على العناصر غير العربية وخاصّة الصقالبة؛ وذلك ليقيِّدوا نفوذ العناصر العربية الأخرى، إلا أنّ ذلك لم يزد إلّا من العصبيّة والعنصرية والكراهية بين العناصر السُّكّانية للأندلس .

ومثال على ذلك، عندما وَلَّى الناصر مملوكه نجدة الصقلبي[2]، قيادة الجيش المتوجّه لقتال ملك ليون(راميرو الثاني)[3]عام (327هـ/939م) في موقعة الخندق[4]، شرقي مدينة سمورة[5]، هُزم الجيش وقُتِلَ نجدة وهَرب الناصُر ومعه حوالي خمسين فارسًا، وقيل إنّ سبب الهزيمة هو تغيّر

---

[1] دوزي،رينهارت،**المسلمون في الأندلس**،(7/3).

[2] نجدة الصقلبي : نجدة بن حسين الصقلبي، سُمّي بذلك، لأنه من الصقالبة، عيّنه الخليفة عبد الرحمن الناصر قائدًا أعلى للجيش في وقعة الخندق .ابن الخطيب ،لسان الدين ، **أعمال الأعلام** ،37.

[3] راميرو الثاني : هو ابن الملك ادونيو الثاني حاكم مملكة ليون، تولّى راميرو الحكم بعد تنازل أخيه الفونسو الرابع عن الحكم .ابن حيان ، حيان ، **المقتبس** ،345.

[4] موقعة الخندق : هي معركة حدثت عام (327هـ/939م) بين الخليفة الناصر والملك رأميرو الثاني حاكم ليون والتي خسر فيها المسلمون . ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **العبر** ،(142/4).

[5] سمورة : دار مملكة الجلالقة ، على ضفة نهر كبير جدًا ، وبينها وبين البحر ستون ميلا وهي قاعدة من قواعد الروم وعليها سبعة أسوار ، غزاها الخليفة الأموي عبد الرحمن بن محمد عام (327هـ/939م).الحميري، محمد، **الروض المعطار** ،324.

نفوس العرب الذين في الجيش لتولّي قيادته صِقلبيٌّ، وتفضيله الصّقالبة عليهم فتركوه وحده، وأدى ذلك إلى هزيمته[1].

كان الصّقالبة يَعدّون أنفسهم عنصرًا متميّزًا، فلم يختلطوا بالعناصر الأخرى، وحاولوا المحافظة على كيانهم الخاصّ، ممّا بعث فيهم النزعة العنصريةَ أكثر من غيرهم، ولذلك فإنهم كانوا أساس الحركة الشّعوبية في الأندلس، لأنها انبعثت من الإمارات الصقلبية في عصر ملوك الطوائف، فاستأثروا بجزء من تركة الخلافة الأموية فكونوا لهم ممالك في شرق الأندلس، وخاصّة بلنسية [2]وطرطوشة [3]ودانية[4] والمرية[5] ومرسية [6].

---

[1] ديودار ،حسين،**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي** ،57.

[2] **بلنسية** :مدينة في شرق الأندلس ، تبعد عن قرطبة على طريق بجانة 16 يومًا وهي شرق طليطلة .الحميري ، محمد، **صفة جزيرة الأندلس** ،47.

[3] **طرطوشة:** مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية، وهي شرق بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره . الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، (30/4).

[4] **دانية** : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقًا، كانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري ، واهلها أقرأ أهل الأندلس لأن مجاهدًا يستجلب القراء وينفق عليهم الأموال، فكانوا يقصدونه وكثروا في بلاده . الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، (434/2).

[5] **المرية** : مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عام (344 هـ/955م) وهي جنوب شرق طليطلة الحميري ، محمد ، **صفة جزيرة الاندلس** ، 47. الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ،(119/5).

[6] **مرسية** : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير تقع على ضفتي نهر شقورة وتُسمّى بستنا شرقي الأندلس لكثرة مزارعها وبساتينها، وقد سقطت بأيدي النصارى عام (641هـ/1243م)، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** (107/5).ابن سعيد ، علي ، **المغرب في حلى المغرب**،(245/2).

لم تكن نظرة العرب للموالي نظرة مساواة ، يروي ابن حيان أنه خلال فترة الأمير عبد الرحمن ابن الحكم " أنه تُسمّى جماعة من موالي الخلفاء بأسماء العرب، فأنكر ذلك عليهم بفضل أنفته ، وأكد فيه نهيَه، وكان له مولًى من عتاقة أبيه يُسمّى بمحمد، ووُلد له ولد سمّاه مسرورًا "[1].

ح_ أهل الأندلس

استُخدِم مصطلح (الأندلس) للدلالة على سكّان شبه الجزيرة من الإسبان، وبعد الفتح العربيّ الإسلاميّ، وفي مرحلة الفتنة البربرية استُخدِم ليدلّ على سكّان الأندلس كافةً بعناصره المختلفة ، باستثناء البربر الطارئين على الأندلس، ويمكن القول: إنّ استخدام مثل هذه المصطلحات الخاصّة بالأندلسيين والبرابرة، جاءت لتعبِّرَ عن صراع عنصريّ، كان من نتائجه إضعاف الطّرفين، ممّا هيّأ للقوى النصرانية الشّمالية السّيطرةُ على الأندلس وإخراج المسلمين منها[2] .

يُقصد بهم السّكّان الأصليّون للأندلس قبل الفتح وهم القوط[3] الإسبان، يقول المقري:" تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس ... فلحقوا بطارق وارتفع أهل الأندلس عند ذلك على الحصون والقلاع ..."[4]

---

[1] ابن حيان ، حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** .187.

[2] شلبي ، عمر ، **الشعوبية في الأندلس** ،126.

[3] **القوط الغربيين** : من القبائل الجرمانية الذين رحلوا من أعالي الهند إلى أوروبا، طلبًا للمرعى والمعاش، وأقاموا في بوادي أوروبا، وقيل: إنهم من عجم رومة ودار ملكهم ماردة . المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**,(140\1). زيدان، جرجي، **فتح الأندلس**, 13.

[4] المقري ، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،(250/1).

إذًا، فمصطلح أهل الأندلس لا يعني فقط القوط الإسبان، وإنما يعني المسلمين من العرب والبربر الذين استوطنوا الأندلس، كلّ هؤلاء أهل الأندلس، وقد تحزّب هؤلاء ضدّ البربر الطّارئين على الأندلس في أثناء الفتنة البربرية .

ومع بداية ما يُسمّى بالفتنة البربرية ظهرت النَّعرة الأندلسيّة واضحةً، فبالنسبة للعرب لم يعد يُسمع شيء عن عصبيتهم المضرية واليمانية اللتين فقدتا مدلولهما الجنسيّ والسياسيّ، كذلك لم يُسمع عن الحركات الثورية التي يقوم بها المولّدون أو المستعربون ، عندها ظهر تعبير جديد هو " أهل الأندلس" أو"العصبية الأندلسية"[1] ، وقد ورد هذا التعبير في المصادر العربية بصور شتّى فمرة في صورة (أهل الأندلس) أو (الأندلسيّون) أو(العصبية الأندلسيّة) أو (العصائب الأندلسيّة)[2].

كان هذا المصطلح مبهمًا في البداية، لكنه ازداد وضوحًا عندما نشبَ الصراع بين أهل قرطبة والبربر، وكان مصرع هشام بن سليمان على يدي محمد المهدي بدايةً لقيام طائفتين أو حزبين عدوين : حزب البربر وحزب الأندلسيّين.

وفي عهد العامريين تحوّلت العصبيّة العربية إلى عصبيّة أندلسيّة، كان هدفها مناهضةَ البربر والصقالبة، وأصبحت العصبيّة الأندلسيّة بمثابة الشّعور القوميّ الذي تُعبّر عنه مختلف العناصر السّكّانية التي يتألف منها شعب الأندلس، ثمّ تضامنت واجتمعت العناصر السّكّانية الأصلية

---

[1] شلبي ، عمر ،**الشعوبية في الأندلس** ،123.

[2] ابن بسام ، علي ، **الذخيرة غي محاسن أهل الجزيرة** ،(133/1)،ابن الخطيب ، لسان الدين ، **أعمال الأعلام**، (87،128،131).

لسكّان الأندلس عندما واجه المهدي أعداءَهُ في موقعة قنتيش[1]، حيث لم يعتمد على الفقهاء ورؤوس الأموال، بل اعتمد على العامة والصُّنّاع [2].

[1] موقعة قنتيش : قنتيش هو موضع إلى شمال شرقي القليعة، غير بعيد من ملتقى وادي أرملاط بالوادي الكبير ، وتُعدّ موقعة قنتيش من المعارك الحاسمة ، فقد كانت قاضية أولا على خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي ، ووقعت عام (400هـ/1009م).ابن الأبار، محمد ، **الحلة السيراء** ، (5/2).بروفنسال ،ليفي ، تاريخ إسبانيا الإسلامية ،(810/2).

[2] ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** ،(56،74/3).ابن بسام ،علي ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،(43/1).

الفصل الثاني

العنصرية في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية

1- العنصرية في الحياة الاجتماعيّة

1- التعصُّب للعرق

تعدّدت مظاهر العنصرية في الأندلس، فشملت التعصُّب للعرق والموطن والدين، وتأثّرت به فئات المجتمع الأندلسّي المختلفة، من عربيةٍ، وبربريةٍ، وصقلبيةٍ، وقوميةٍ إسبانيةٍ، إلا أنه انحصر في شكل صراع إقليمّي وعنصريّ بين الأندلسيين والبربر، ودينيّ بين المسلمين والنصارى[1].

ذُكِر سابقًا أنَّ بعض العرب الذين دخلوا الأندلس رَأَوْا في أنفسهم أنهم أرفعُ مكانةً من غيرهم، وذلك لأنهم أهل القرآن وحملةُ الرسالة السماوية ، إضافة إلى ما قاموا به من فتوحات إسلامية؛ لذلك نجد أنّ بعضهم قد نظر إلى البربر نظرةً دونيةً انبثق عنها تعصبٌ عرقيٌّ ظهر مع بدايات الفتح، وينعكس هذا التعصُّب من خلال الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد وإحراقه السّفن.

فحرقُ طارق للمراكب، كانت الغاية منه منع جنوده من الهروب، فهي قصّة أسطورية تقلّل من شأن الفتح، حيث إنها تدلّل على ضعف البربر وجبنهم و بالتالي ففي ذلك إساءة و تقليل من شأن البربر وقدراتهم، وتشكيكٌ في كفاءة طارق القيادية وإظهاره جاهلًا في الأمور العسكريّة، خاصّة وأنّ العرب اعتادوا على عدم تولية الموالي قيادة الجيوش، فقد كانت القيادة حكرًا على العرب وحدهم[2]،ولعلّ الهدف من ذلك بيان أنّ العرب أفضل وأعلى شأنًا منهم وأن القيادة

---

[1] شلبي، عمر ، **الشعوبية في الأندلس**، 262.

[2] شلبي، عمر ، **أساطير الفتح الإسلامي** ،86.

العسكرية لا تليق إلا بالعرب وليس للموالي، وفي ذلك تعصُّب للعرب ضدّ البربر ، إنّ قصّة حرق المراكب ليست بصحيحةٍ وعلى ما يبدو فإنّ من دوّن هذه الرواية هو شخص عربي تقوده نزعة عنصرية، والذي يدلل على ذلك أيضا الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد.

وردت خطبة طارق بن زياد عند ابن قتيبة، وابن خلكان والمقري، وعبد الملك بن حبيب، ويلاحظ أنّ هناك اختلافًا واضحًا في نصّ الخطبة فيما بينهم، خاصّة عند الأخير منهم، وهذا الاختلاف يُعزى إلى عدم صحّة نسبة الخطبة إلى طارق، كما أنّ أقدم نصّ هو لعبد الملك بن حبيب المتوفَّى سنة (238هـ/852م) أي بعد أكثر من قرن من حدوث المعركة التي قيلت بها الخطبة[1].

نرى أنّ الخطبة قطعةٌ أدبيةٌ فنيةٌ فريدةٌ لا يستطيع كتابتها إلا كاتبٌ متمرّسٌ، فكيف لطارق بن زياد البربري أن يكتب مثلها، وإن كتبها هو، فكيف لجنوده وجميعهم من البربر أن يفهموها[2]، إضافة إلى السّجع المذكور في الخطبة، إذ يدلّل على ذلك أكثر؛ فالسّجع جاء متأخرًا في النثر العربّي الأندلسّي[3]، إنّ العرب منذ فتح طارق الأندلس، عمدوا إلى طمس شخصيّته البربرية، فنسبوا هذه الخُطبة، كقوله :" فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجرة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت..."[4].

---

(1) ابن قتيبة، عبد الله ،**الامامة والسياسية** ،(61/2). ابن خلكان ، أحمد ،**وفيات الأعيان**،(321/5-322)، المقري،أحمد ، **نفح الطيب**، (231/1-232).شلبي، عمر ، **أساطير الفتح الإسلامي** ،67.

(2) سالم ، عبد العزيز ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ،78.

(3) طربيه، جرجي ،**التعصب العنصري والديني في الأندلس** ،50،شلبي عمر ، **أساطير الفتح الإسلامي** ،67.

(4) ابن خلكان، أحمد، **وفيات الأعيان**،(321/5). طربيه، جرجي ،**التعصب العنصري والديني في الأندلس** ،50.

كذلك عمدوا إلى طمس هوية جنود طارق الذين كانوا من البربر، فنسبوا إليه قوله في الخطبة:" وقد اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عربانا"[1]، ولا يخفى ما في ذلك من استئثار بالنصر وتفرد بقطف ثماره ، ولبيان ما للعرب من فضل في فتح الأندلس.

على ما يبدو فإنّ مَنْ نَسَجَ قصّة حرق المراكب والخطبة هو عربيّ يحمل نزعةً عنصريةً أراد أن يقلّل من شأن البربر، فكلاهما من منبعٍ واحدٍ ومكمّلان لِبعضهما البعض وما قصّة حرق المراكب والخطبة إلا من المماحكات العربية البربرية، التي ظهرت لاحقًا، ويؤكد ذلك المقري بقوله: " لمَّا علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم، أبغضوهم وحسدوهم، فلم تجد أندلسيًّا إلا مبغضًّا بربريًّا"[2].

وقد نبّه المؤرّخ ابن الخطيب على الخصائص الاجتماعيّة والنفسيّة لدى كلّ من العرب والبربر ودورها في إيجاد الفرقة والتعصّب للعرق، فهو يذكر أنّ من أسباب كثرة الثوار بالأندلس هو : " عُلوّ الهمم وشُموخ الأنوف وقّلة الاحتمال لثقل الطّاعة ، إذ كان من بالأندلس من العرب والبربر أشرافًا يأنف بعضهم من الإذعان لبعض"[3]، لذلك أرسل موسى جيشًا من البربر بقيادة طارق البربري، ولم يضع عليه رجلًا عربيًّا .

لم يكن التعصُّب فقط بين عنصرين مختلفين من عناصر المجتمع الأندلسيّ، بل نجد أنّ هذا التعصُّب تعدّاه إلى أفراد العنصر الواحد ، نجد أن هناك تعصّبًا عرقيًّا بين القبائل اليمانية

---

[1] ابن خلكان،أحمد، **وفيات الأعيان**،(322/5)

[2] المقري،أحمد،**نفح الطيب**،236/1، شلبي ، عمر ، **أساطير الفتح** ،69. طربيه، جرجي ،**التعصب العنصري والديني في الأندلس** ،51.

[3] ابن الخطيب، محمد،**أعمال الأعلام**، (36/2).

والقيسيّة، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل بين الصميل بن حاتم[1]، وأبي الخَطّار، وكان متعصّبًا لليمانية، حيث جاءه رجلان ليحكم بينهما، أحدهما من اليمانية والآخر من القيسيّة، وقد كان الأخير أبلغَ من اليماني وبسبب تعصّب (أبو الخطار) مال لابن قبيلته، فما كان من القيسي إلا أن شكا للصّميل ماجرى، فذهب الصّميل إلى أبي الخَطّار يعاتبه، فما كان منه إلا أنه أهانه وضربه[2]، يقول المقري في هذه الحادثة : " فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه ، فنهجه أبو الخطّار وأغلظ له، فرد الصميل عليه، فأمر به أبو الخطّار، فأقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من على الباب : أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة . فقال : إن كان لي قوم فسيقيمونها "[3].

في هذه الحادثة نرى أن العنصرية قد لعبت دورًا واضحًا؛ وذلك من خلال التعصب لابن القبيلة الواحدة ونصرته حتى لو كان ظالمًا، وقد ترتب عليها إشعال نار الفتنة ، فقد احتدم الصّراع بين القبائل العربية، حيث أسفرت الحروب المتواصلة بين اليمانية والمضرية عن هلاك أعداد كبيرة من الفريقين، فقد وصل عدد القتلى في الصّراع بين اليمانية والمضرية الذي وقع في كورة تدمير عام (207هـ/822م) إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف قتيل، وقد استغرقت هذه الحروب بين القبائل العربية سبع سنوات[4].

---

[1] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 80،57–83.ابن الخطيب ، محمد ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،(465/1).

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،57.ابن عذارى ،أحمد ، **البيان المغرب**، (36/2).

[3] المقري، أحمد ، **نفح الطيب** ،(23/3).

[4] العذرى، أحمد، **نصوص عن الأندلس**،5.

لم يقف التعصُّب العرقيّ عند هذا الحدّ، بل تعداه إلى عناصر المجتمع الأندلسي كافةً والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي عام (267هـ/889م) اجتمع عرب قرمونة مع عرب إشبيلية، وثاروا على المولّدين في إشبيلية، وقد افتخر العرب كثيرًا بهذه الموقعة، وسجّلوها بأشعارهم فقالوا :

أبدْنا بالسُّيوفِ بَنِي العَبيد فَراحُوا هامِدينَ على الصّعيدِ

قَتلْنا مِنْهُم عِشْرينَ ألفًا فَقَلّلنا الكَثِيرَ منَ العَديدِ [1]

وكادت أن تحدث فتنة بين العرب والمولّدين في مدينة إستجة بسبب رفض المولّدين الصّلاة خلف الإمام العربّي، فرُفع الأمر إلى حكومة قرطبة التي عَيّنت رجلًا لهذه المهمّة ، يقال له أبو موسى الهواري ، فهو من البربر، كما يتضح به من اسمه فرضيّ به الفريقان[2] .

لم يقتصر التعصّب العرقيّ على الفئات السّابقة فقط، فنجد الموالي وبخاصّة الصّقالبة قد حملوا هذه النزعة، ويظهر ذلك واضحًا عندما أقام كل من مبارك ومظفر العامريين دولتهم في بلنسية، عندها " لحق لأول أمرهم من موالي المسلمين ومن أجناس الصقلب والإفرنج والبشكنس عشيرتهم ... وانفتح على المسلمين ببلاد الأندلس أمر شديد في إباقة العبيد ،إذ نزع إليهم كلّ شريد طريد، وكلّ عاق..."[3].

ولم يقف الأمر من التعصب عند هذا الحدّ، بل إنّ هؤلاء الصقالبة "... زهدوا في الأحرار وأبنائهم ممّن طرأ منهم عليهم، فلم يواسوهم ..."، فكان لاجتماع أبناء عشيرتهم من الموالي إليهم ، وتوحّدهم في دولة تحت سيادتهم، أن أظهروا تعصّبهم العرقي لأبناء جلدتهم ، وتنكّرهم

---

[1] ابن حيان ، حيان، **المقتبس**،85.

[2] الزبيدى، محمد،**طبقات النحويين واللغويين**،253-254.

[3] ابن عذارى، أحمد، **البيان المغرب**،(160/3).

للأندلسيّين، الذين نزلوا ببلنسية ، فلم يواسوهم ولم يحتضنوهم، بل أظهروا عدم رغبتهم في وجودهم بدولتهم[1] .

أما عن النصارى في الأندلس، فقد تأثروا بثقافة العرب وأسلوب حياتهم، حتّى إنّه عُيِّن كثير منهم في مناصبَ مهمّةٍ، ونتيجة لهذا اتخذ المسيحيّون العاداتِ الإسلاميةَ، ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم في ملابسهم وطعامهم وشرابهم، وحتى في أسمائهم[2]، حتّى أُطلق عليهم اسم (المستعربون)، ومن هؤلاء نصر بن أبي الشّمول[3]، وابن شبرقة[4] .

وعلى الرغم من هذا التسامح نجد أنّ هناك جماعةً متعصّبةً من المسيحيين عرقيًا ودينيًا، أخذت تحارب حركة الاستعراب وتحّرِض الناس على الخروج على حكم المسلمين، فنجد أنّ أحد القساوسة في عام (236هـ/850م)، يسبّ الرسول " صلّى الله عليه وسلّم" ويلعن الإسلام، فتم إعدامه[5]، كما كان يُستعان بالمستعربين في بناء المعاقل والمدن الحصينة في مناطق التخوم مثل مدينة سمورة، التي اتُّخِذت مركزًا مهمًّا للتصدّي للمسلمين [6].

---

[1] ابن عذارى، أحمد، **البيان المغرب**،(160/3).شلبي، عمر ، **الشعوبية في الأندلس**،286.

[2] أرسلان، شكيب، **تاريخ غزوات العرب**،231.مسعد، سامية، **التكوين العنصري**،86.

[3] نصر بن أبي الشمول : هو أبو الفتح نصر بن أبي الشمول وكان أبوه من نصارى قرمونة، ثمّ اعتنق الإسلام أيام الأمير الحكم الربضي ، وكان الحكم قد خصّ عددًا من ذوي الجاه من أهل قرطبة ، فكان نصر من بينهم وعلت منزلته عند عبد الرحمن بن الحكم حتّى أصبح يتصرف باسمه في أمور الدولة . ابن حيان، حيان ، **المقتبس** ، (250).المقري، أحمد، **نفح الطيب** ،(350/1).

[4] ابن شبرقة:من أهل بطليوس وكان كثير العلم متصرفا في الأدب . ابن الفرضي، عبد الله ، **تاريخ علماء الأندلس**،312.

[5] مسعد، سامية ، **التكوين العنصري**،85.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر**،(181/4).كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، 213.

و الأمثلة كثيرة على التعصّب للعرق من الفئات المختلفة في المجتمع الأندلسيّ، فبعد هزيمة زاوي بن زيري الصّنهاجيّ للخليفة الأندلسيّ عبد الرحمن المرتضى (408_409هـ/1017-1018م)، يقول ابن بلقين في مذكراته :

" وإن زاوي بن زيري[1] لمّا بصر بهذه الحال، ورأى تألب أهل الأندلس عليهم، وبغضهم لهم ، عمل بذلك فكرته وقال: قد علمتُ وأيقنتُ أنّ هذا يكون دأبهم أبدًا، وإن كُنّا قد منحنا الظّفر في أول صفقة، لم نأمنهم على أنفسنا وديارنا كلّ حين، وهم إن قُتِلَ منهم واحد خلفه ألف، مع ميل جنسِيِهم من الرعايا إليهم ...."[2]، فهذا القول يؤكّد دأبهم على وجود الصّراع والتقسيمات القائمة على أساس عرقي، ويُظهر الكراهية المتبادلة بين الأندلسيين والبربر .

وتجدر الإشارة إلى أنّ التعصّب العرقيّ لم تتميّز به فئة دون أخرى، أو جنسٌ دون آخرَ، بل هو حالة عامة للفئات المكونة للمجتمع الأندلسيّ كافةً، بسبب التنافس السّياسيّ بينهما ، والفوارق الاجتماعيّة ، والثقافية ، والاقتصادية[3] .

2- الطبقية في المجتمع

لم تقتصر الطبقية على عنصر معيّن بحدّ ذاته في المجتمع الأندلسي، بل نجد أنّ الفئة ذاتها، فيها تفاوت طبقيّ، ربمّا نستنتج من ذلك أن العنصرية كانت تؤدّي دورها على مَن ليس لديهم

---

[1] زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي، زعيم صنهاجة،كان يملك من طرابلس إلى طنجة، دخل الأندلس في عهد حجابة المظفر بن أبي عامر، وصار وقومه من جنده،ولما انتهت الخلافة الأموية في الأندلس سَعَوْا كبقية البربر في الفتنة .ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(75/3).

[2] ابن بلقين، عبد الله، **التبيان**،24.

[3] شلبي، عمر ، **الشعوبية في الأندلس**،266.

القوة، أو مَن ليس منهم مصلحة حتّى في العنصر نفسه، وسنجد أنّ ذلك أيضًا يعتمد على مَن يتولّى السلطة في حينها.

نجد أنه في داخل العنصر الواحد ثَمّة تفاوت في الطبقات الاجتماعية وعلى ذلك يمكن تقسيم المجتمع الأندلسي من ناحية طبقية إلى ما يلي :

أ- الطبقة الأرستقراطية : كانت تتكون من مختلف العناصر، فلم تكن محصورةً في عنصر بحدّ ذاته، فشملت العربَ والمواليَ والفقهاءَ والعسكرَ.

ب- الطبقة الوسطى : تضّمنت بعض موظّفي الدولة والعلماء والتُّجّار وأرباب الحِرف ومُلّاك الأراضي الصغار .

ت- طبقة العامة[1].

تألفت الأرستقراطية الأندلسيّة من ملكيتها للأراضي الزراعية لكون المجتمع الأندلسّي يعتمد على الزراعة التي تّعدُ مقياس الثروة، والمَلّاكون الكِبار بالإضافة إلى كبار التُّجّار، والأعيان والأمراء والحُكّام ورجال الدولة بسبب امتلاكهم للثروة والجاه والنفوذ السياسيّ، كان العرب معظمهم من أصحاب الطبقة الارستقراطية ، فعند فتح الأندلس احتفظوا لأنفسهم بالأراضي الخصبة، وقد أدّى ذلك إلى ظهور الكراهية وبدايات العنصرية بينهم وبين العناصر السّكّانية الأخرى خاصة البربر الذين اعتبروا أنّ لهم الفضلَ في فتح الأندلس، وبين المولّدين الذين يعتبرون أنفسهم أهل البلاد الأصليين و بالتالي هم أحقّ بخيراتها[2] .

---

[1] صفي الدين ، محي الدين ، **المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس** ،13-16.بوتشيش، إبراهيم ، **أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي** ،135-139.

[2] ابن عذارى، أحمد، **البيان المغرب**،(51/1)، ابن القوطية ، محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،46. كولان، جورج، **الأندلس**،89.

فمن الأمثلة على العنصرية فيما يتعلّق بالطبقة الأرستقراطية وامتلاك الأراضي فقدان غالبية البربر للأراضي الخصبة التي استولَوْا عليها حينما كانوا يشكّلون طلائع الفتح الإسلاميّ للأندلس، فقد كانوا أول المستحوذين على خيرات هذه البلاد، وبخاصّة الأراضي الخصبة وهذا ما يؤكّده ابن حزم بقوله:" ثمّ دخل البربر الأفارقة، فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة "[1]، لكن التطوراتِ التاريخيةَ، خاصّة في عهد الولاة أدّت إلى فقدان غالبية البربر لأراضيهم وهو ما يؤكّده ابن حزم أيضًا بقوله: " ثمّ دخل الشّاميون في طالعة بلج بن بشر بن عياض ، فأخرجوا أكثر العرب المعروفين بالبلديين بما كان بأيديهم"[2]، ويعني هنا بالعرب البلديين الفاتحين الأوائل للأندلس ، والدليل في ذلك قول ابن الأبار: " العرب البلديّون هم الجند الأول"[3]، أي الذين وقع على عاتقهم الفتح بينما جاء بقية الجند بعد نهايته، وكان أغلبهم قد جاء على الأندلس في عهد الأمويين، ومن ضمن هؤلاء الفاتحين البربر، وقد استولى الشاميون على أراضي الفاتحين الأوائل عقب قيام ثورة البربر بالأندلس عام (123هـ/741م)، حيث لاحق جند بلج بن بشر المغاربة الثائرين وأخرجوهم من أراضيهم واستحوذوا عليها[4].

وإذا كان الشاميون بقيادة بلج بن بشر قد طردوا البربر والعرب البلديين من الأراضي التي استحوذوا عليها عقب الفتح الإسلامي للأندلس؛ فإنّ البربر وعلى إثر قيامهم بثورة (123هـ_741م)، قد انتهجوا السّلوك نفسه حين تغّلبوا على العرب القاطنين بالمناطق الشمالية ، والذين كانوا يمثّلون الأقلية، مقارنةً بأعداد البربر، وأخرجوهم من أراضيهم، ممّا يعني أنهم استوْلَوْا عليها، إلا أنه في النهاية تمّت هزيمة البربر وملاحقتهم، وأصبحوا بدون أراضٍ، مرغمين على

---

(1) ابن حزم، علي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**،175.

(2) **نفسه**،175

(3) ابن الأبار، محمد، **الحلة السيراء**،(63/1).

(4) بوباية، عبد القادر،**البربر في الأندلس**،263.

البحث لدى أصحاب الملكيات الزراعية[1]، وممّا يدلّ على ذلك الاقتراح الذي قدمه المهديّ محمّد بن عبد الجبار للبربر الملتفيّن حول سليمان المستعين الذي بايعه البربر بالخلافة بعد اضطهاد المهديّ وجنده لهم، حيث كلّف " أحد الوزراء وهو البكري فدار بقرطبة وأرباضها يقول للناس : قد عفا أمير المؤمنين المهديّ عن البربر على أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيروا حرّاثين كما كانوا "[2].

وذلك يعني أنّ جزءًا مهمًّا من البربر الثائرين ضدّ المهديّ كانوا يعملون قبل عام (399هـ_1008م) في ميدان الزراعة، وبما أنّ الأراضي قد انتُزِعت منهم؛ فإنهم كانوا يشتغلون في الأراضي التي يملكها غيرهم ، وبخاصّة البيوتات العربية ذات النفوذ السياسيّ والعسكريّ .

وقد ظهر في العرب في عهد الأمير عبد الرّحمن الداخل طبقة عُرفت باسم القريشيين[3] ، حظيت بمكانةٍ رفيعةٍ، وامتيازاتٍ واسعةٍ داخل الأسرة الأموية التي استقرت بالأندلس، منهم أسرة الحفصيين، وأسرة الحبيبين[4]، وتُعدّ شريحة الأمراء وأقربائهم المروانيين ضمن شرائح

---

[1] بوباية، عبد القادر، البربر في الأندلس،263-264.

[2] ابن عذاري، أحمد، **البيان المغرب**،(82/3).

[3] يعد بنو أمية أهمّ قبائل قريش المستوطنة في الأندلس وأقواها، خصوصا بعد نجاح الأمير عبد الرحمن بن معاوية في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس ،إذ عمد بعد ذلك إلى لَمّ أسرته المبعثرة وضمّهم إليه، ولعلّه كان يهدف من وراء ذلك إلى تعزيز موقفه بين القبائل العربية، خاصّة بعدما بدأت تظهر ملامح تمّرد أنصاره من اليمانية عليه، فرأى أن يتخذ لنفسه عصبية خاصّة من أقربائه ومواليه، عُرفوا باسم القريشيين.مؤلّف مجهول ، **أخبار مجموعة**،84-88.ابن القوطية ،محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،51-52.فكري، أحمد، **قرطبة في العصر الإسلامي**،32.

[4] الحفصيين والحبيبيين : جدهم الوليد بن عبد الملك ، ، وأما الحفصيّون فإنّ أباهم يدعى عمر، فمن ولده حفص بن عمر ، وإليه يُنسب الحفصيّون في الأندلس، أما الحبيبيّون فمن حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد وهو جد الحبيبيين الذين بقرطبة ورية .ابن حزم، علي ، **جمهرة أنساب العرب** ، 89.

الأرستقراطية التي حازت على الضّياع التي شيدت فيهم قصورهم، لذلك تمتّعوا بمكانة اجتماعية خاصّة[1] .

مَرّ آنفًا أنّ العنصرية لم تكن فقط بين العناصر المختلفة، بل بين أبناء العنصر الواحد؛ لذلك نجد على الرغم من تمتّع العرب بطبقة أرستقراطية ظلّ قسم من فقرائهم يحترف الفِلاحة، وخدمة الضِّياع وغزل الكِتّان وبيع الحليب، وهذا يفسِّر مشاركتهم في الثورات الاجتماعيّة[2].

وتمتّع قسم من المولّدين بأوضاعٍ اقتصاديةٍ جيّدةً، كما هو الحال مع المولّدين في إشبيلية، لذلك لم يفكّروا في الثورة على أمراء بني أميّة التي تربطهم بهم علاقات وطيدة، إلا أنهم كرهوا أن يكونوا تحت سلطة العرب السياسيّة، فَسَعَوْا إلى تكوين إمارات مستقلّة، فعقدوا تحالفاتٍ مع ملوك الدول النصرانية المجاورة، فقد عقد عبد الرحمن بن مروان باعتباره زعيمًا للمولّدين في غرب الأندلس حلفًا مع ألفونس بن أندونو ملك جليقية؛ ومن أجل ذلك عُرف عبد الرحمن بن مروان بالجليقي [3].

أضحى المولّدون في القرن الثالث الهجري كتلةً كبيرةً تميّزت بثقلها السياسيّ وضغطها العسكريّ ، إلا أنه نظر إليهم نظرة احتقار بوصفهم أقلَّ مرتبةً من العرب، وأطلق على فئة منهم، وهم بنو

---

[1] ابن حيان، حيان،**المقتبس**،(194-195).

[2] ابن الأحمر ، إسماعيل، **بيوتات فاس الكبرى**،23.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن ، **العبر**، 288. Bern hard and Ellen M.Whishaw , **Arabic Spain** **104**. عبد الرحمن بن مروان الجليقي : أندلسي، ينتمي إلى أسرة من المولدين أصلها من جليقية، وقد كان والده مروان بن يونس واليًا على ماردة للأمير عبد الرحمن الأوسط، شارك عبد الرحمن بن مروان في تمرد ماردة عام (254 هـ/868م)، الذي أخضعه الأمير محمد بن عبد الرحمن بحملة حاصرت المدينة، إلى أن طلب أهلها الصّلح على أن يُخرج عددًا من قادتهم منهم عبد الرحمن بن مروان بعائلاتهم إلى قرطبة. ابن عذارى ، أحمد، **البيان المغرب**، (2/199-200).عنان ، محمد، **دولة الاسلام** (314/1).

موسى بن موسى القسّي،(الأراذل)، ولم يكن للمولّدين من دون الموالي منهم أن يشاركوا في الأعمال الرسميّة، خاصّة في عهد محمد الأول الذي قال: " إنّ مذهبنا أن نقصرَ خططنا هذه النبيهة على أبناء مواليناء وأهل السّابقة في خدمتنا "، ويضيف أنّ الأمويين لو خرجوا على تلك السياسة لتقلدّ الخطط في الدولة " أبناء السّوق وأبناء الناس أولي الأعراق الدنيئة"[1].

مثّل العسكر مقدمة شرائح الطبقة الأرستقراطية، واكتسبوا مركزًا اجتماعيًا مهمًا، وشكّلوا طبقةً منعزلةً عن المجتمع، وما قائد الصوائف[2] هاشم بن عبد العزيز[3] إلا مثال يمكن من خلاله استخلاص أحوالهم الاجتماعية يقول ابن حيّان بأنه: " أرفع هذه الطبقة كلّها قدرًا "[4]، كما نجد أنّ الصّقالبة الذين كانوا جزءًا من العسكر قد استحوذوا على الأراضي الشّاسعة وسَخّروا فيها العبيد ، وارتبطوا بخدمة البلاط وارتقَوْا في أعلى المناصب، حيث أُسنَد إليهم الأمير عبد الله مهامّ إدارة الديوان وقيادة الحرس السلطاني، وصاروا يؤدّون دورًا سياسيًّا خطيرًا، وقد تكونت الثروات لدى العسكر بفعل تملّكهم الأراضي[5] .

---

[1] طقوش، محمد،**تاريخ المسلمين في الأندلس**،264.

[2] الصوائف : إجراء عسكري إداري قام به عمر بن الخطاب عندما زار الشام عام (17هـ/638م)، إذ قسّم الأرزاق وسمّى الشواتي والصوائف وسدّ فروج الشام ومسالحها ، وقد اعتمد أمراء بني أمية في حياتهم العسكرية عليها .الطبري، محمد، **تاريخ الأمم والملوك** ،(66/4-67). ابن الأثير ، عز الدين ،**الكامل في التاريخ** ،(559/2).الجبوري ، عدي ، **أحوال المجاهدين خلف الدروب الرومية** ،290.

[3] هاشم بن عبد العزيز: هو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز ، وولي سلفهما لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان هاشم خاصًّا بالأمير محمد بن عبد الرحمن ، ولاه الوزارة ، وهو أحد رجالات الموالي المروانية ، نكبه المنذر ابن محمد لأشهر من خلافته ، بعد أن ولّاه الحجابة وأظهر عنه الرضا ، وذلك لأشياء حقدها عليه في خلافة أبيه محمد، وقد كان يخرج معه قائدًا للجيش. ابن الأبار ،محمد، **الحلة السيراء**،(137/1).

[4] ابن حيان، حيان ، **المقتبس**،(160)

[5] بوتشيش ،إبراهيم ، **أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي** ،136.

إلا أنه كان هناك تمييزٌ عنصريٌ بين فئات الجيش، فعلى سبيل المثال في عهد أبي الخطّار الحسام بن ضرار تمّ تسجيل الجند الشّاميين في الديوان، ومُنِحت لهم الأراضي، كما تمّ إعفاؤهم من أعشارها مقابل رزقٍ محّددٍ ونظامً مضبوطً يقضي بإلزامهم حضورَ الغزوات التي يجرّدها الوالي أو الأمير ضدّ أعداء الدولة، ويؤكّد ذلك ابن الخطيب قائلًا: "إنّ الغازي كان يرتزق مائة دينار وازنة، ولم يكن الديوان والكَتبة إلا في الشّاميين خاصّة، وكانوا أحرارًا من العشر، معّدين للغزو، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال الروم التي كانت بأيديهم"[1].

بينما كان البربر والبلديّون من العرب لا يحصلون على أية امتيازات، حيث كانوا يؤدّون العشر مع سائر أهل البلد، ولا ينالون العطاء عقبَ الغزوات التي كانوا يشتركون فيها مع غيرها من عناصر المجتمع الأندلسيّ[2]، إلا أنّ أوضاعهم تغيّرت في أواخر الخلافة الأموية حين تولّى المنصور بن أبي عامر السلطة، فقد أغدق على البربر الهباتِ والعطايا ، وأقطعهم الضِيّاع، كما اتخذ منهم ندامى وجلساء، وقد اتّبع ابنه من بعده السياسية نفسها ، وذلك مقابل إبعاد العنصر العربيّ، والقضاء على عصبيته حتّى يضمن السلطة لنفسه[3] .

وهذا يعني أنّ العسكر قد شكّلوا إحدى شرائح الأرستقراطية، وإذا كان وضعهم أقرب للثبات لارتكازهم على عصبيات يزعمون الدفاع عنها، فإنّ أساسهم الاقتصادي تميّز بالضّعف نتيجة الحروب الإقطاعية التي أدت إلى تجريدهم من كثير من ممتلكاتهم طبقًا لقانون الغلبة، كما أنّ

---

[1] ابن الخطيب،محمد، **الإحاطة في أخبار غرناطة**،(104/1)

[2] **نفسه**،(104/1).

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر** ،(320/7).

قوة الحكم المركزيّ التي بدأت في الظهور مع نهاية القرن الثالث الهجري شكّلت أحد أسباب انهيارهم، وهو ما يفسِّر زوال نفوذهم في عصر الخلافة [1].

و يأتي الفقهاء أيضًا في مقدمة الهرم الاجتماعي، وذلك لتشابك مصالحهم مع الأمراء والعسكر، الذين كانوا يبحثون عن سندٍ دينيٍّ لتدعيم نفوذهم لمواجهة نقمة الطبقات المتذمّرة، وممّا يؤكّد الارتباط الوثيق بين الفقهاء والأمراء ما أورده ابن حيّان عن الأمير محمّد الذي كان " مُكرِمًا لأعلام الناس، مقّدمًا على طبقاتهم ذوي الفقه والعلم منهم ، يرفع مجالسهم ويزلف وسائلهم" [2] ، ولعلّ الصلة الوثيقة بين الفقهاء وبين الأمراء وقادة الجند ، ترجع إلى نفوذهم الروحيّ على العامة، وتخوُّف الأمراء منهم، إضافة إلى المصالح الاقتصادية[3] ، وعلى الرغم من أنّ المال وملكية الأراضي أكسبتهم مكانةً اجتماعيةً، إلا أنّ هذه المكانة لم تكن ثابتةً، فقد تغيّرت بتغيُّر الحُكّام، وهذا ما يفسِّر سوءَ أوضاعهم في عهد الأمير الحكم بن هشام، والخليفة عبد الرحمن الناصر، كما يُفهم من خلال موقفهم المناوئ لهم [4].

ومما يوضح لنا الارتباط الوثيق بين الفقهاء والأمراء وقادة الجند ، ما أدركه الأمير الحكم بن هشام عندما شارك عدد من الفقهاء في ثورة قرطبة ضدّه، وعدم تمكنّه من السيطرة على أيّ ثورة

---

[1] بوشيش ،إبراهيم ، **أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي**، 138.

[2] **المقتبس**،(148).

[3] الخشني ، محمد، **أخبار الفقهاء والمحدثين** ، 46،153.

[4] ابن عذارى ، أحمد ، **نفح الطيب** ،(71/2).

لاحقةٍ على سياسته دون دعم من الفقهاء، وتعلم هذا الدرسَ ابنه عبد الرحمن الثاني ، الذي تمكّن من تأمين دعم الفقهاء له مقابل الاعتراف بهم حماةً للشريعة [1].

و ما قام به الحاجب المنصور من تقريب الفقهاء له واستشارته لهم في إعلانه نفسه خليفةً ، إضافة إلى محاولة استرضائه لهم من خلال حرق كتب الفلسفة والمنطق؛ وذلك لكسب تأييدهم له وإعطائه شرعيّةً له ضدّ بني أميّة[2]، كما أدّى الفقهاء دورًا في نهاية الخلافة الأموية في الأندلس في ردّ الخلافة لبني أمية، فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر[3]، إلا أنّ المعتمد ترك شؤون الحكم لوزيره حكم بن سعيد القزاز ، فأساء لأهل قرطبة وعلمائها وفقهائها وصادر أموال التُّجّار وأغدق على البربر، وقطع أرزاق الجند[4]، ممّا زاد من حقدهم على الأمويين، نتيجة لما تعرّضوا له من عنصريّة في معاملتهم، فسار كبار الوزراء بزعامة أبي الحزم بن جهور إلى القصر، وأعلنوا إبطالَ الخلافة وإزالةَ الأمويين، وطردهم من قرطبة، وذلك عام (422هـ/1031م)[5] .

حظي الموالي في عهد بني أميّة أيضًا بمكانةً اجتماعيةٍ مهمّةٍ، فنجد على سبيل المثال أنّ عبد الرحمن الداخل قد اتخذ من البربر مواليَ له، فكان حريصًا على استقدامهم من المغرب ليلحقهم في خدمته، فكان يُكثر عليهم العطايا، ويبالغ في الإحسان إليهم، حيث كانت الفئة الكبيرة المكونة للجيش هم البربر وذلك للاستعانة بهم على العرب والحد من العصبية العربية التي كانت ضدّه،

---

[1] الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، (1244/2). شلبي عمر ، **الشعوبية في الأندلس**،207.

[2] ديودار، حسين ، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي** ، 147.

[3] الحميدي ،محمد ،**جذوة المقتبس** ،37.

[4] ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(143/3-145).

[5] الضبي، أحمد،**بغية الملتمس**،34.

كذلك نجد أنّ المنصور بن أبي عامر قد استعاض عن الجيش العربي بجيشٍ من البربر، واستكثر منهم،حيث عمل على تشكيل جيشٍ جديدٍ يدين له بالولاء التامّ؛ ذلك أنه توقّع من أجناده الاتفاق على بعض ما يخلّ بدولته إذ كانوا صنفًا واحدًا، وتألبّهم على معصية أمره متى أمر بما أحبّوا أو كرهوا "، وبهدف منع حدوث ذلك " سوَّلَ له رأيه أن تكون أجنادُهُ قبائل مختلفةً وأشتاتًا متفرقةً، إن هَمَّ أحد الطوائف بالخروج عن الطاعة غلبها بسائر الفئات"[1]، أي أنه سار على وتر الأقليات، واستغلّ الحقدَ والكراهيةَ بينهم، حتّى يضمن عدم خروجهم عليه، و أصبح البربر يشكّلون الأساس في جيش المنصور، ومن أجل دفع رواتبهم " اتفق المنصور مع زعماء البيتوتات العربية المقطعة على أن يشتغلوا بعمارة أرضهم، ويعطون من أموالهم كلّ عام ما يقيم به من أجناد على اتفاق ورضًا منهم، فضرب عليهم الإقطاع، وحَصَّل في الدواوين جميع أموال الناس وكسرها عليهم، وفرض بينهم مالًا يرتزق منه الجيش"[2].

نتيجة لهذه السياسية التي اتبعها المنصور بن أبي عامر، توافد عليه عدد كبير من المغاربة[3]، واستمرّ هذا الوضع في عهد ولديه المظفر عبد الملك، وعبد الرحمن شنجول ، وهو الأمر الذي جعل جُلّ العرب عامة، وأهل قرطبة خاصّةً ينظرون إلى البربر نظرةَ حقدٍ وكراهيةٍ، ويظهر ذلك بوضوح خلال الفتنة التي حدثت بمدينة قرطبة بداية من عام (399هـ/1008م)[4].

---

[1] ابن بلقين، عبد الله ، **التبيان**،57.

[2] **نفسه**،58.

[3] ابن الخطيب،محمد، **أعمال الأعلام**،66.

[4] بوباية، عبد القادر، **البربر في الأندلس**،391.

ولم يمنع البربَر نسبُهم من الوصول إلى أسمى الوظائف، وتصدُّرهم قمةَ الهرم الاجتماعي، فكان منهم قُوّادٌ وأمراءُ وعلماءُ وكُتّاب وأهل صلاح وتقوى، بينما ظلّت الأكثرية منهم تحت حكم طبقة العسكر[1].

وفي نهاية الخلافة الأموية بدأ يظهر الضّعف والانقسام والعنصرية بشكل واضح، فهناك البربر والصّقالبة والأندلسيّون، وقد ازداد الأمرُ سوءًا حين أساء الخليفة المهدي محمّد بن هشام بن عبد الجبّار إلى البربر، وبطشَ بهم، ممّا زاد من حنقهم وكرههم له، فكانوا يضمرون الشّرّ له ويترقّبون الفرصة المتاحة للخروج عليه، وذلك أنهم وقفوا إلى جانب العامريين ضدّ الأمويين، وفي ذلك يقول بعضهم: **قَدْ قَامَ مَهدينا ولكنْ بملّةِ الفِسْقِ والمُجُونِ**

وشَارَكَ الناسَ في حَريمٍ لولاهُ ما زَالَ بالمَصُونِ

مَنّ كَان مِنْ قَبلُ ذا أَجْما فاليومَ قَدْ صَار ذَا قُرونِ[2]

، كذلك أخرج المهديّ حوالي سبعة آلاف جندي من الجيش، وأمر بقطع أرزاقهم وإسقاطهم من ديوان العطاء[3].

---

[1] ابن الابار ، محمد، **الحلة السيراء**،(160/1).العذري،أحمد ، **ترصيع الأخبار**،113. عندما سيطر الأمويون على الأندلس في البداية لم يغيّروا من وضع البربر الاجتماعي ، بل اكتَفَوْا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فيها إلى جانب العناصر الأخرى ، ولكنّ البربر رأَوْا أنّ ذلك لا يكفيهم ، فبدؤوا يشاركون في الثورة خلال القرن الثالث الهجري ، كما فعل الفتح بن موسى بن ذي النون عام (300هـ/912م) حيث ثار بقلعة رباح وتحصّن فيها، مناديًا بنفسه أميرًا عليها ، وقد بلغ ذروة نفوذهم عندما رضيَ عنهم الخليفة الحكم المستنصر .ابن القوطية، محمد، ،**تاريخ افتتاح الأندلس**،32. ابن خلدون ، عبد الرحمن، **العبر**،(179/6–180). ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب**،(159/2).

[2] المقري،أحمد، **نفح الطيب**،(426/2_427).

[3] ابن الخطيب ،محمد، **أعمال الأعلام**،112–113.

اعتنى الأندلسيّون بمواليهم من الصّقالبة مما أسهم في تقدم الحالة الاقتصادية والاجتماعية لهم ، فظهر جيل من أبنائهم انقطعوا إلى طلب العلم، حتّى صاروا من مشاهير العلماء، ومنهم معمر ابن منصور، وقد كان للصقالبة والبربر دورٌ في هدم الخلافة الأموية، ففي نهاية حكم الخلافة الأموية نجد أنّ البربر قد تعاونوا مع الصّقالبة ضدّ بني أمية[1]، وفي نهاية الخلافة الأموية، و خاصّة في عهد الخليفة المستعين لم يعد البربر يهتمّون بالولاء للخلافة الأموية، بل أخذوا يتدخّلون في شؤونها ، أما الصّقالبة، فقد استقلّوا ببعض مدن شرق الأندلس[2] .

يقول جرجي طربيه:إنّ الصّقالبة اتّبعوا خطّة البربر نفسها تقريبًا، وصولًا إلى الحكم وانتزاع السيادة، فاخترقوا السّدّ العربيّ عن طريق العسكر والحرس الخاصّ، واغتنموا الفرصةَ المناسبةَ لبلوغ السلطة والاستقلال، ثمّ إنهم عمدوا بعد بلوغهم الحكمَ إلى الانتقام من العرب، فنمُّوا النزعة العنصرية ضدّهم، ورَعَوْا الحركة الشُّعوبية لاحقًا[3] .

---

[1] يذكر لنا ابن عذارى بأنّ محمد بن هشام بن عبد الجبار قد اشترى فتًى صقلبيًا ، وقد خطط هذا الفتى لخلعه، فأقام معسكرًا بفحص السرادق خارج قرطبة وتلقّب بالرشيد، وانضمّ إليه جماعة من الحاقدين على الخليفة المهدي وعلى رأسهم البربر ، أما العامة فتعصّبوا للمهدي، فاشتعلت نيران الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة من الأندلسيين، وقد شجّع الخليفة المهدي العامة على قتل البربر أينما وجدوا، فقامت مذبحة بشعة قُتل فيها عدد كبير من البربر، واضطُروا للخروج من قرطبة .ابن عذارى، أحمد ، **نفح الطيب**، (3/78-96). الضبي،أحمد، **بغية الملتمس**،20.

[2] ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب** (3/113).ابن الخطيب، محمد، **أعمال الأعلام** ،139.

[3] **التعصب العنصري والديني في الأندلس وانعكاساته على الأدب والأساطير**،105-106.

وقد تعاظم نفوذ الصّقالبة، في عهد عبد الرحمن الناصر، فقد اعتمد منذ تولّيه الإمارةَ على الصّقالبة لعدم ثقته بالعناصرالعربية، وبادر بإقصاء العناصرِ العربيةِ البارزة، وإحلال فتيانه الصقالبة محّله[1] .

ففي عام (308هـ/919م) عَزل محمّد بن محمّد بن أبي زيد عن الشّرطة العليا، وولّاها دريا مولاه[2]، كما سلّط سيوف مواليه الفتيان الصّقالبة على رقاب أقربائه من بني أمية، فعندما ثار أميّة بن إسحاق عامله على مدينة شنترين، بادر بإخراج القائد نجدة بن حسين مولاه على رأس حملة للقضاء على ثورته[3].

وعمل الصقالبة أيضًا في الحرس الخلافي ورجال الخاصّ والحشم، وكان الناصر يمدّ لهم في النفوذ، ويُرغم أشراف العرب وزعماء القبائل على الخضوع لهم، ليذلّ بذلك أنوفهم ويسحق هيبتهم[4].

و بعدما تُوفِّيَ الناصر تولّى ابنه الحكم المستنصر الحكم، وقد واصل سياسة أبيه في الاعتماد على الصّقالبة في كلّ نواحي الإدارة والحكم، فالأرستقراطية العربية قد اضمحلّت وغاب نفوذها، واختفت كقوةٍ سياسيّةٍ واجتماعيّةٍ،وحلّت محلّها أرستقراطية من نوع جديد، قِوامها القادة والعسكريون من الموالي والصقالبة، وأصبحوا في عهده ذوي سلطان ونفوذ وجاه [5]، وهكذا ازداد نفوذ الصقالبة وأصابهم الغرور، وأثار تغاضي الحكم عن أخطائهم وطغيانهم وسوء سلوكهم دهشةَ

---

[1] الجمال، أحمد، **دراسات في تاريخ الأندلس**، 94.

[2] ابن عذارى، أحمد،**البيان المغرب**،(180/2).

[3] الجمال، أحمد، **دراسات في تاريخ الأندلس**،94

[4] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،137.

[5] ابن حيان ، حيان ، **المقتبس**،(106-107).

مؤرّخي ذلك العصر، وعن استبدادهم يقول ابن عذاري:" ظهرت منهم في زمن الحَكم أمور قبيحةٌ أغضى عنها مع إيثاره العدلَ واطّراحه للجَوْر بالجملة، وكان يقول:" هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم ، فينبغي للرعية أن تلينَ لهم، وترفقَ في معاملتهم، فتسلم من معرتهم، إذ ليس يمكننا في كلّ وقت الإنكار عليهم "[1].

وعندما تولّى هشام بن الحكم الخلافة، تمّ الحجر عليه من قِبل الحاجب المنصور بن أبي عامر ،وأبعدَ الصّقالبة عن القصر، وبخاصّة كبارهم، مثل فائق وجوذر، وتتبّعهم بالقتل والنفي والتشريد، وفي ذلك يقول ابن حيّان:" وتقسّمتهم أيدي القدر نفيًا وقتلًا، صبرًا وغلبةً، وسرًا وعلانية، حتّى هلكوا عن آخرهم في أسرع مدّة، فكانت تلك الطائفة أول مَن ظهر انتقام الله تعالى بابن أبي عامر منها، فكانوا جبّارين قاسطين في بلاده، متمرّدين على عباده، فأرسه بقدرته على هذا النمط من خلقه فأبادهم"[2].

وما إن انتهى ابن أبي عامر من تشتيت شمل الصّقالبة من القصر الخلافيّ، حتّى وّلى مكانهم صنائعُه من الصقالبة، والذين عُرفوا باسم (الفتيان العامرية)[3]، كما استكثر من البربر، في الوقت الذي أسقط فيه العناصر العربية عن مراتبهم وشتّت صفوفهم، حتّى يقطع التحامهم وتعصّبهم [4].

---

[1] **البيان المغرب**،(241/2).

[2] ابن بسام،علي، **الذخيرة**،(71/1)

[3] ابن الخطيب، محمد، **أعمال الأعلام** ،260،242.

[4] ابن خاقان، الفتح، **مطمح الانفس**،389.

سعى المنصور إلى اقتناء جيش من الصّقالبة يستند عليه متشبّهًا بالخلفاء ، وقد اصطنع ابن أبي عامر الصّقالبة في القيادات العسكرية والإدارات الحكومية [1]، كذلك عَمِدَ مِن بعده ابنه عبد الملك إلى استرضاء الجند ومعاملة الصّقالبة العامريين معاملةً خاصّةً، فمنحهم أكبر المناصب، وولّى بعضهم الثّغور، كما استقدم أعظم زعماء البربر من العدوة، وكان أعظم مَن قدم منهم إليه زاوي ابن زيري[2].

أما عن طبقة العامة التي تضمّ الفلاحين والحرفيين وبعض التُّجّار الصّغار، فقد كانت أوضاعهم مزريةً، ممّا زاد من شعورهم بالعنصرية، حيث لم تحاول الإدارة الأموية تحسين أوضاعهم، وعندما شهدت الأندلس، في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، تقدّمًا ملموسًا في المجالين الاجتماعيّ والاقتصاديّ، لم ينعكس ذلك إيجابًا على أوضاعهم؛ لذلك نجدهم قد شاركوا في الثورات التي عمّت الأندلس، خاصة في الكور المجندة التي اندلعت فيها أهمّ ثورة بقيادة عمرو بن حفصون في الجنوب موئل الأرستقراطية العسكرية، وهذا ما دفع ابن حفصون إلى أن يمنيَ اتباعه " بفتح البلاد وغنائم الأموال "[3]،و بذلك نرى أنّ الخليفة المهدي استغلّ أوضاع هذه الطبقة، فاستغلّها في بناء دولته، فاستوزر رجالًا منهم، عارضَ بهم جنودَ الدولة ، فاستبدّ العامة بقواد الجند[4].

---

[1] المقري،أحمد، **نفح الطيب**،(85/3).

[1] ابن بسام علي، **الذخيرة** ،(80/1-81).

[3] ابن خلدون ،عبد الرحمن، **المقدمة** ،265.

[4] اعتبرت السلطة الحرفيين أحط الطبقات الاجتماعية ، فقد احتقر الأمير محمد الفرانين والجزارين وغيرهم كذلك لم تحترم الأعراف الاجتماعية حقوقهم .ابن عذارى ، أحمد ، **البيان المغرب**،(50/3).

3- القِيَم و العادات والتقاليد

تشتمل القِيَمُ والعاداتُ والتقاليدُ على الأخلاق والمبادئ والأعراف التي تبنّاها المجتمع، والتي تميّزه عن غيره من المجتمعات، التي يمكن اعتبارها مقياسًا لمدى سلامته.

وقد تعرّضت قيم أهل الأندلس وعاداتهم وتقاليدهم بعد الفتح ودخول الإسلام فيها لهجوم العنصريين والمتعصّبين، ممّن حقدوا على المسلمين إبّانَ فتحهم للأندلس، يقول المقري في ذلك : " وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم؛ فإنها تختلف بحسب الأوقات والنظر إلى السّلاطين، ولكنّ الأغلب عندهم إقامةُ الحدودِ، وإنكارُ التهاونِ بتعطيلها، وقيامُ العامةِ في ذلك، وإنكارهم أن تتهاون في ذلك أصحاب السلطان"[1].

يُستنتج ممّا قاله المقري أنّ ما يحدّد الحفاظ على المبادئ والقِيم والتقاليد مدى القوة أو الضّعف في كلّ فترة من فترات تاريخ الأندلس، وأنّ السلاطين هم مَن يتحكّمون في الحفاظ عليها، ولا يجب إهمال عوامل أخرى تؤثّر أيضًا منها العنصرية والثراء الماديّ .

ومن صور العنصرية والتعصّب بين المسلمين والنصارى قيامُ رجال الكنيسة في الأندلس بتشويه صورة الإسلام عند العامة ، وسبّ الرسول " صلّى الله عليه وسلّم "، والتشكيك بنبوته وبالعقيدة الإسلامية كما كان للاختلاط بين المسلمين والنصارى واختلاف القِيم الأخلاقية والسلوكية بينهم أن أتاح لبعض المسلمين بمشابهة النصارى بشرب الخمر، ولاقى ذلك تشجيعًا من النصارى للمسلمين، من خلال افتتاح أماكن لبيع الخمور[2] .

---

[1] المقري، أحمد، **نفح الطيب**، (210/1). العوفي ، سلمي ، **الحسبة في الأندلس**،182.

[2] الونشريسي ، احمد ،**المعيار المغرب**،(155/11).صفي الدين ، محي الدين ، **المستعربون ودورهم في تاريخ الاندلس**،117.

كذلك حاول بعض الحُكّام الأمويين القضاءعلى ظاهرة شرب الخمر أو الحدّ منها، إلا أنهم لم يستطيعوا منع ذلك، فقد أمر عبد الرحمن الأوسط بهدم الفندق الذي أقامه أبوه في شقندة، لأنّ المستعرب ربيع بن تيودولفو، الذي كلّفه الحكم الربضي بإدارته ، استغلّه لبيع الخمور[1].

وحاول بعض فقهاء الأندلس منع شرب الخمر ، فتوجّهوا إلى الحكم المستنصر الذي بدوره أمر بإراقتها في كلّ الأندلس وتشدّد في ذلك، حتى إنه حاول القضاء على زراعة الكروم للحدّ من صناعة الخمور، إلا أنّ مستشاريه أخبروه أنّ العامة يمكن أنّ تتّخذ من عصير التينِ وغيره مُسكرًا ، فتراجع عن مشروعه[2].

وممّا يتّصل بالعادات والتقاليد الزواج فقد اتّخذ الجيل الفاتح للأندلس الإسبانياتِ زوجاتٍ لهم [3]، واستمرّت ظاهرة الزواج من الإسبانيات طول فترة الحكم الإسلاميّ بإسبانيا، أي أنها لم تنقطع،

---

[1] ابن حيان ، حيان ، **المقتبس**،(186).

[2] ابن حزم، علي، **فضائل الأندلس**،53.النويري،أحمد، **نهاية الأرب**،(243/23)، الحميدي،محمد، **جذوة المقتبس**،19. احتفظت بعض المصادر ببعض الأشعار التي قيلت في أديرة كانت تقدم الخمور لزوارها من المسلمين، مثل أبي عامر بن شهيد، الذي قضى ليلة في إحدى كنائس قرطبة ، تناول خلالها الخمر، فأنشد قائلًا:

ولربّ حانٍ قد شَمَمْتُ بديْرِهِ خمرَ الصّبا مُزِجت بصرفِ عَصِيره
في فتيةٍ جعلُوا السّرور شعارَهم متصَاغرين تخشّعًا لكبيرهَ
والقسّ ممّا شاءَ طولَ مقامِنا يدعُو بعودِ حَولنا بزبورِهِ
يتناولُ الظّرفاء فيه وشربهم سلافةَ والأكلُ من خنزيرِهِ

ابن خاقان ،الفتح، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس** ،195.

[3] ما إن وضعت الحرب أوزارها عام (93هـ –96 هـ/ 711م–714م) حتى أخذ القواد والجنود بالزواج من بنات المدن الإسبانية المفتوحة ، فقد تزوّج عبد العزيز بن موسى بن نصير أيخلونيا وهي نصرانية تسّميها المصادر الإسلامية (أم عاصم). ابن القوطية ، أحمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،37.مؤلف مجهول ، **أخبار**=

وكانت تزداد كلما كثرت غزوات المسلمين للمناطق النصرانية القريبة؛ لذلك كانت فترة حكم المنصور بن أبي عامر أهمّ فترة بلغت فيها ظاهرة الزواج بالنساء الإسبانيات أوجها[1] .

ومن صور العنصرية التي تتعلّق بالزواج قيامُ بعض الأسر المولّدية بتزويج بناتها لغيرِ المسلمين من الإسبان ، كأسرة بني قسي ، ومن الأمثلة على هذا الزواج ، زواجُ أورية بنت موسى بن موسى أول ثوار هذه الأسرة على السلطة المركزية في عهد عبد الرحمن الأوسط ، بغرسية ملك البشاكسة [2]، ولعلّ السبب في عدم تحرّج بني قسي في تزويج بناتهم من ملوكٍ وأمراءَ مسيحيينَ كونهم أكثرَ المولّدين اعتزازًا بأصولهم الإسبانية، وكانوا يريدون في مصاهرة ملوك إسبانيا المسيحية وأمرائها نوعًا من التحالف ضدّ السلطة المركزية[3] .

و يُعدّ اللباس أيضًا وجهًا من وجوه العادات والتقاليد ، لم يكن هناك تمييز في عادات اللباس عند الأندلسيّين بين المسلمين والنصارى، يقول المقري في حديثه عن نوع من أنواع الفراء الذي يُستخدمُ كلباس: " والقنيلة حيوان أدقّ من الأرنب ، وأطيب في الطعم وأحسن وَبَرًا، وكثيرًا ما تبلسُ فراؤها ، ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى"[4].

وعلى الرغم من أنّ بعض الفقهاء تشدّد في أمر اللباس؛ إلا أنه لم يُطبّق على الأقلّ في العهد الذي نتحّدث عنه.

=**مجموعة**،27.الجبالي ، خالد، **الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان** ،48.ولد إن ، محمد الأمين ، **النصارى واليهود**،97.

[1] المراكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،60.

[2] ابن حزم،علي، **جمهرة أنساب العرب** ،30. العذري، أحمد، **ترصيع الأخبار**،30.

[3] قروعي ، خديجة، **ظواهر اجتماعية اسلامية ومسيحية**، 256.

[4] المقري، أحمد ، **نفح الطيب** ، (198/1).

2- العنصرية في الحياة السياسية (الثورات ذات الطابع العنصري)

أ- ثورة البربر عام (123هـ/741م).

تُعدّ من أولى الحركات الثورية منذ فتح الأندلس، ويمكن اعتبارها امتدادًا لثورة ميسرة المطغري[1]، في شمال إفريقيا [2]، حيث وصلت أخبار انتصاراته إلى البربر في الأندلس، وعلى ما يبدو فإنّها وصلت عن طريق أتباع ميسرة المدغري، وهم من أصحاب المذهب الخارجي[3]، ممّا شجّعهم على القيام بثورة في الأندلس أيضًا ضدّ العرب[4]. كانت الأندلس _ في حينها_ تحت حكم الحجازيين، أهل المدينة المنورة، المعروفين بكراهيتهم لأهل الشّام؛ لأنهم هزموهم ونكّلوا بهم في وقعة الحرّة (63هـ/683م)[5]، وسنرى كيف أسهم ذلك في إشعال نار العنصرية بين الشّاميين والحجازيين، من خلال هذه الثورة، فعندما اندلعت الثورة في المغرب على العرب، أرسل بلج بن

---

[1] ميسرة المطغري: من قبيلة مطغرة البربرية، عرف بالحقير أو الحقور ، بائع الماء ، فقد كان يبيع الماء في أسواق القيروان ومساجدها. ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **العبر** ،(394/1). ابن القوطية، محمد ، **تاريخ افتتاح الأندلس**،39.

[2] حقي،محمد،**البربر في الأندلس** ، 200.

[3] المذهب الخارجي : من أهم مبادئ هذا المذهب عدم حصر الخلافة في بيت معيّن كالبيت العلوي ، أو في جنس معيّن كالجنس العربي، وإنما الخلافة لله، أي تُترك لأيّ شخص تجتمع عليه الأمة . الشهرستاني ، محمد، **الملل والنحل** ، (26/2). يصف لنا ابن خلدون دور الخوارج في تحريك البربر ضدّ الحكم الأموي ، فيقول :" ثم نبضت فيهم (أي البربر) عروق الخارجية ، فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق. وتعدّدت طوائفهم، وتشعّبت طرقها من الإباضية والصفرية كما ذكرنا في أخبار الخوارج. وفشت هذه البدعة ، وأعقدها رؤوس النفاق من العرب، وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة إلى الانتزاء على الأمر ،فاختلوا في كلّ جهة، ودعَوْا إلى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها ، ويلبسون الحقّ بالباطل فيها إلى أن رسخت فيهم كلمات منها ، ووشجت بينهم عروق من غرائسها، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمراء العرب ".**العبر** ،(129/6).شاهين ، حامد ، **سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس**، 32.

[4] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 40.

[5] ابن كثير ،إسماعيل ، **البداية والنهاية** ،(8/ 236).العبادي، ،أحمد ، **في تاريخ المغرب والأندلس**،91.سالم السيد عيد العزيز ،**تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس**،149.

بشر، قائد الجيش الأموي وهو من الشّاميّين إلى عبد الملك بن قطن الفهري[1]، وقد شارك في وقعة الحرّة، وطلب منه المساعدة والدخول إلى الأندلس، إلا أنّ عبد الملك رفض أن يستقبلَه، أو يبعثَ له المساعدة بسبب الكراهية، وخوفًا من أن يستوليَ على حكم الأندلس[2]، حتّى إنه عندما عَلِم أنّ أحد الرجال من قبيلة لخم اليمنية، قد أرسل قاربين من الشعير والإدام للجيش الشّاميّ في المغرب، عاقبه، وجلده سبعمائة جلدة، متّهمًا إياه بتحريض الجند على الثورة[3] .

بدأت ثورة البربر في الأندلس ضّد العرب بإخراج عرب جليقية وقتلهم، واسترقة والثغر الأدنى، فاتجه أغلبهم نحو العاصمة قرطبة، ولم يهاجم البربر عرب سرقسطة؛ لأنهم أكثر منهم، ثمّ اتّجه البربر إلى طُليطلة بهدف السيطرة، عليها ثمّ التوجّه _بعد ذلك_ إلى العاصمة قرطبة [4]، واستطاع البربر إلحاق هزائمَ متكررة بِجيوشِ عبد الملك بن قطن والي الأندلس، واختلف حول قادة الثورة، وتقول بعض المصادر إنه ابن هدين، ومصادر أخرى تقول إنه زقطرنق [5].

أمام هذه الهزائم، كان لا بدّ لوالي الأندلس أن يستعينَ بالشّاميّين على الرغم من كرهه لهم، واشترط عليهم عند دخولهم الأندلس، أن لا يمكثُوا فيها أكثر من عام، ثمّ يغادروا الأندلس عند إتمام مهمّتهم، وحتّى يضمن عبد الملك تنفيذ شرطه، طلب منهم إعطاءه عَشْرَ رهائن من الشّاميين، أخذهم وأنزلهم جزيرة أمّ حكيم بالقرب من الجزيرة الخضراء، واشترط بلج على عبد

---

[1] عبد الملك بن قطن الفهري: هو عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله الفهري، ووُلِّي الأندلس ودخلها في رمضان عام (114هـ/732م) بعد وفاة أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقي ، وكانت ولايته سنتين . ابن عذارى،أحمد ، **البيان المغرب** ،(28/2).مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 31.

[2] ابن القوطية ، محمد ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ،40–41.

[3] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،40.مؤنس ،حسين ، **فجر الأندلس** ،42.

[4] ابن عذارى،أحمد ،**البيان المغرب** ،(30/2–31).

[5] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، 42.

الملك، أن يتم نقل الشّاميّين دفعةّ واحدةّ على مراكب أهل الأندلس إلى شمال إفريقيا بعد الانتهاء من المهمّة[1] .

قلب وصولُ الشّاميّين إلى الأندلس موازينَ القوة، حيث بدأ البربر بالتراجع، ففي البداية انهزم البربر في شذونة، وكان اللقاء الحاسم في نواحي طُليطلة، على وادي سليط وفيه انهزم البربر[2].

لم تقدّم المصادر التاريخية، رأيًا مباشرًا عن سبب اندلاع الثورة، سوى أنها حقدٌ على العرب والرغبة في إبادتهم، وكذلك اقتداءً بثورة شمال إفريقيا[3]، بعد أن استغلّ بلج استنجاد عبد الملك بن قطن، بهم لقمع ثورة البربر ليستقرّوا في الأندلس، وبدأت عوامل الفتنة والاضطراب بالظهور، فقد تحول النزاع في الأندلس من نزاع بين العرب والبربر، إلى نزاع بين العرب البلديّين المستقرّين الأوائل في الأندلس منذ الفتح وبين الشّاميّين، وهم القادمون الجُدد إلى الأندلس، بقيادة بلج بن بشر[4]، ممّا أدى إلى تمزّق وحدتهم وتفرّق كلمتهم، وتطوّر نزاعهم، وأخذ شكل العصبيات القبلية بين القيسية واليمانية، وهي فتنة أعطت ملوك الممالك النصرانية الشمالية، فرصةً من أجل توسيع حدود مملكتهم، واسترداد بلادهم من المسلمين[5] .

---

[1] مؤلف مجهول ،**أخبار مجموعة**،43،ابن عذارى،أحمد ،**البيان المغرب** ، (30/2).ستانلي ، لين بول ، **قصة العرب** ،46. ،.عبد العزيز سالم ، السيد ،**قرطبة حاضرة الخلافة** ،36/1.مؤنس ،حسين ،**ثورات البربر في افريقية والأندلس**،7.

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،40.

[3] **نفسه**،42.

[4] عنان،محمد،**دولة الإسلام العصر الأول** ،121.

[5] اشتيوي ،أشرف ،**الأندلس في عصر الولاة**،121.

ألحّ عبد الملك على الشّاميّين كي يخرجوا من الأندلس، إلا أن بلج انقلب عليه وأخرجه من قصره في قرطبة [1]، قتله فيما بعد لأنّ حاكم الجزيرة الخضراء، الذي عّينَهُ عبد الملك قطع الماء والشّراب عن الرهائن العشرة الذين أخذهم، وذلك ليضمن خروجهم، فمات أحد الأشراف الشّاميّين[2]، أما عبد الملك بن قطن فكانت طريقة قتله بشعةً تنمّ عن عنصريّة بحتة، حيث إنهم أخرجوه من بيته بقرطبة، وهم يقولون: له أفلتّ من سيوفنا يوم الحرة فطلبتنا بثأرنا في أكلّ الدوابّ والجلود، ثمّ أردت إخراجنا إلى القتل، ثمّ قتلوه فصَلَبوه، وقد صَلبوُا على يمينه خنزيراً وعن شماله كلباً على رأس قنطرة في قرطبة[3].

أثار موت عبد الملك بن قطن، الأحقادَ والخلافاتِ والنزاعاتِ العصبية في نفوس الحجازيين والشّاميّين، فتحالف العرب البلديّون بقيادة قطن وأمية ابني عبد الملك، مع البربر المهزومين ضدّ الشّاميّين بقيادة بلج بن بشر، وانضمّ إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، عامل عبد الملك في أربونة، وانتهى الأمر بهزيمة البربر ومقتل بلج بن بشر[4].

يتّضح ممّا سبق مدى العنصرية التي حملتها العناصر المشاركة في الثورة، سواء بين العرب أنفسهم أو بين البربر والعرب، وتبيّنُ هذه الثورة أيضًا درجة الحقد الدّفين الذي كان في نفوس العرب ضدّ بعضهم البعض، حيث لعبت الأحداث التاريخية دورًا في ذلك، ونقصد هنا بهذه الأحداث وقعة الحرّة التي اختزنت في نفوسهم مجموعة من الأهوال التي كابدها أهل المدينة من الشّاميّين ، إضافة إلى التنافس القبليّ على حكم الأندلس، فقد خاف ابن قطن من منافسة بلج له

---

[1] ابن عذارى ،أحمد ،**البيان المغرب**،(32/2).

[2] مؤلف مجهول ،**أخبار مجموعة**،42.

[3] ابن القوطية، محمد ،**تاريخ افتتاح الأندلس** ،41،ابن خلدون ،عبد الرحمن، **العبر** ، (153/4).ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، **فتوح إفريقيا والأندلس**،100.

[4] مؤلف مجهول ،**أخبار مجموعة**،43.

على الحكم أما حقد البربر على العرب، فقد نبع من أنّ الثروات لم تُقسَّم بشكل عادل وَفْقًا للشريعة الإسلاميّة، وقد فُرض على البربر الاستقرار بالثغور لحماية مكاسب الفتح ، وهذا بدوره خلق نوعًا من عدم التوازن بين ما حصل عليه العرب[1] ، وما وقع بيد البربر، فقد كان لهذه الثورة انعكاسات قوية على الوجود البربريّ في الأندلس، وكانت أولها قيام ثورات أبرزها تلك التي قادها ابنا عبد الملك بن قطن ضدّ بلج بن بشر؛ وذلك للإنتقام من العرب الشّاميين نتيجة لقتلهم والدّهم وهزيمتهم البربر، وانضمام البربر إليها لنيل ثأرهم[2]، إضافة إلى الإبادة والمطاردة التي تعرّض لها البربر، وقد أثرّ ذلك على أعدادهم، وتغيّر مواطنهم،فقد هرب بعضهم نحو الثغور الشّمالية، وهاجر بعضهم الآخر إلى المغرب[3] .

ب-ثورات المولّدين في عهد الحكم ابن هشام

سكن في طُليطلة خليطٌ من العناصر السّكّانية، منهم الفاتحون المسلمون من عرب وبربر، وأهل المدينة الأصليّون من الإسبان، والمولّدين الذين ظهروا مع الفتح الإسلاميّ، وحينئذٍ كانت طليطلة مهيّأةً للصراع والتمرّد والعصيان خاصّة في عهد الأمير الأمويّ الحكم بن هشام المعروف بالربضي، الذي تولّى الحكم عام (181هـ/797م)؛ وذلك لكثرة المولّدين فيها [4].

---

[1] حقي، محمد، **البربر في الاندلس**،202.

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،44.

[3] حقي ،محمد، **البربر في الأندلس**،203

[4] ابن الأبار،محمد، **الحلة السيراء**،(43/1-44).مؤلف مجهول، **اخبار مجموعة**،125.

تمكّن الحَكم من القضاء على ثورتين كادتا أن تقضيَ على حكمه، وهما : ثورة المولّدين بطليطلة عام(181هـ/797م)، والثانية هي ثورة المولّدين الربضيين[1] بقرطبة عام (202هـ/817م) وكانت السبب بتلقيبه بالحكم الربضي[2] .

تُعدّ هذه الثورات من أخطر الثورات التي قام بها المولّدون في قرطبة وطليطلة عاصمة القوط القديمة وقاعدة الثغر الأدنى، وكان من بين أهلها الكثير من المستعربين والمولّدين، وقد ذُكِرَ في الفصل السابق أنّ المولّدين قد شعروا بشيء من ضياع حقوقهم، خاصّة أنهم يعدّون أنفسهم أصحاب البلاد الأصليين ، وأنهم بعيدون عن مناصب الدولة ، وخاصة أن الحكم قد مال إلى اصطناع الموالي العرب[3].

وبالنسبة لثورة المولّدين في طليطلة، فقد كانت مهيّأةً للعصيانِ؛ وذلك لكثرة المولّدين فيها ، وكان يشعل روحَ الثورة فيها إبّانَ تلك الفترة الشاعر غربيب الطليطلي، وفي ذلك يذكر ابن القوطية:" كانت للحكم بالأندلس ثلاثُ وقائع عظيمة ، فمنها وقيعة بطليطلة؛ وذلك أنهم كانوا من الإثارة والطغيان والاستخفاف بالعُمّال ما لم تبلغه قط رعيّة من ولاتها، وكان عندهم غربيب الطليطلي

---

[1] الربض : كلمة عامة تعني الضّاحية أو الحيّ والجمع أرباض، ويقع ربض قرطبة هذا في جنوب المدينة على الضّفة الأخرى لنهر الوادي الكبير، ويسمّى ربض شقندة ، وكان مسكنًا للعمّال وأهل الأسواق، وقد تفجّرت هذه الثورة في هذا الربض، وانجلت عن هزيمة الثائرين، وطُرد أهله من الأندلس، وهُدِّمت بيوته وتحوّل جزء منه إلى مدافن عُرفت بمقبرة الربض . ابن الأبار ، محمد، **الحلة السيراء**، (44/1).الحميري، محمد، **الروض المعطار**، 104.

[2] ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس**،46.ابن عذارى، احمد، **البيان المغرب**،(106/2).المقري،**نفح الطيب**، (322/1).سالم، السيد عبد العزيز ،**تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**،(222–223).مسعد، سامية ، **التكوين العنصري**،62.

[3] مسعد، سامية ، **التكوين العنصري**،63.

الشّاعر، وكان من أهل الحكمة والدّهاء، وكان أهل طليطلة يسندون إليه رأيهم ، فلم يطمع الحَكم وفيهم أيام غريبب"[1].

استخدم الحَكم _لإخماد هذه الثورة _ عامله على طلبيرة[2] عمروس بن يوسف الوشقي وهو مولّد ؛ وذلك حتّى يسهلَ عليه خداع المولّدين بطليطلة، ويستطيعَ جذبهم إليه ، تزعّم المولّدين حينها شخصٌ يدعى عبيدة بن حميد [3]، استخدم عمروس الحيلة ليؤلّب المولّدين ضدّ عبيدة ، فقام بنو مخشي بقتله ، بعد ذلك تمّت الاستعانة ببربر طلبيرة للقضاء على بني مخشي، حيث كان بينهم ثارات ودماء[4] .

اشترك بثورة طليلطة عربًا ومولّدين وبربرًا، فالأمير الحَكم عربيّ استعان بعمروس المولّد للقضاء على المولّدين، والذي بدوره استعان بالبربر لإخماد هذه الثورة، بينما العدوّ يتربّص بهم لإسقاط الأندلس، من خلال هذه الثورة نرى أنّ الصّراع بين عناصر المجتمع الأندلسيّ قائم على العنصرية التي تغذّيها الكراهية والدماء والثارات والخلافات الداخلية .

وما إن هدأتِ الثورة في طليطلة قليلاً حتى عادت مرة أخرى، ممّا اضطُرّ الحكم إلى اللجوء للحيلة، فعيّنَ عمروس واليًا على طليطلة ، وبعثَ إلى المولّدين في طليطلة يقول: "إنّي قد اخترت

---

[1] ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس**،65.

[2] طلبيرة : أقصى ثغور المسلمين بالأندلس ، وهي قديمة أزلية على نهر تاجه ، وهي في الجزء الثالث من قسمة قسطنطين، وهي مبنية على جبل عظيم ، يخرج من تحته عين خرارة ، يطحن على جريها عشرون رحى.الحميري، محمد، **الروض المعطار** ،395.

[3] عبيدة بن حميد: زعيم مولّد ، اختلف المؤرخون حول اسمه ، هناك مَن أطلق عليه ابن خمير ، وابن عمير، وعبيدة بن حميد . ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب** ،(69/2). ابن الأثير،عز الدين، **الكامل في التاريخ**،(105/5). النويري، شهاب الدين ، **نهاية الأرب** ،(181/22) ابن سعيد المغربي،علي، **المغرب في حلى المغرب**،(40/1)، ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **العبر** ،(273/4).مسعد، سامية ، **التكوين العنصري**،64.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر**،(273/4).

لكم فلانًا وهو منكم لتطمئنّ قلوبكم إليه وأعفيتكم ممّن تكرهون من عُمّالنا ومواليا لتعرفوا جميل رأينا فيكم"[1].

تظاهر عمروس أمام المولّدين ببغضه وكرهه لبني أميّة حتّى استطاع استمالتهم إليه، ثمّ بَنَى قلعةً حصينةً جعل لها بابين، وفي وسطها حفرة ،استدعى فيها عمروس وجهاءَ طُليطلة ، لاستقبال وليّ العهد عبد الرحمن بن الحكم، وبعد انتهاء الغداء قُتِلَ الوُجهاء الذين يمثّلون المعارضة ضدّ الحَكم بن هشام و تمّ إلقاؤهم في حفرة أُعِّدت مسبّقًا؛ لذا عُرفت الواقعة باسم (الحفرة) عام (191هـ/807م)[2].

تتلخّص أسباب وقعة الحفرة بطليطلة في أنّ المولّدين شعروا بمضيّ الوقت أنّ حقوقهم مهضومة، على الرغم من أنهم أصحاب البلاد الأصليّون، وأنهم يتحمّلون عبء المغارم والضرائب دون أن يكون لهم نصيب في ثروات البلاد ، وفي المناصب القيادية التي كانت تحتكرها الطبقة الحاكمة العربية؛ لذلك بدأوا يتململون في عهد الحكم ويستخفّون بعماله [3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ وقعة الحفرة مهّدت بعدها لاندلاع ثورة الربض في قرطبة عام (202هـ/817م)[4]،

---

[1] النويري، احمد ، **نهاية الأرب**،(23/181-182).العذري، احمد،**ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**،27.

[2] ابن القوطية، محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،65-67.النويري،شهاب الدين ، **نهاية الأرب**،(23/185-186)،ابن عذارى، أحمد ،**البيان المغرب**،(2/70،69).ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر**،(4/126_127).

[3] ابن القوطية ،محمد،**تاريخ افتتاح الأندلس**،68.ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر**،(4/162).حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**،**231**.

[4] اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الثورة ، فابن الأثير والنويري يذكران أنها حدثت عام (198هـ/814م)، دون تحديد للشهر الذي وقعت فيه الثورة ، أما أبو المحاسن بن تغري بردي فيذكر أنها كانت في رمضان عام (198هـ/814م)، ويختلف معهم ابن الأبار وابن عذارى حيث يذكران أنها حدثت في 13 رمضان =

والربض ضاحية من ضواحي قرطبة [1]، والسبب في هذه الثورة هم الفقهاء ، حيث كانوا متعصّبين تجاه الحَكم وحرسه الذي كان يتألّف حينها من الزنوج والمرتزقة الأجانب ،وذُكر آنفًا أنّ سبب هذا الحقد هو أنّ الحَكم قد حدّ من نفوذهم الذي نالوه عليه في عهد أبيه فحقدوا عليه[2]، وقد استجاب المولّدون لهم لتحسين وضعهم السياسيّ والاجتماعيّ، ولعدم رضاهم عن التمييز بينهم وبين العرب الذين يعتقدون أنّهم متحكّمون بجميع المناصب الإدارية ومقدّرات الدولة، بينما هم لا تمثيل لهم رغم أنهم الأكثريةُ في الدولة.

اختلفت أسباب اندلاع ثورة الربض حسب المصادر ، فيقول ابن عذارى :" إن ذلك الهيج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمة ، ولا تعسّف في ملكة"[3]،أما ابن الأثير، فيقول: إنّ من أسباب الثورة قيامَ الحكم بوضع عُشر الأطعمة عليهم بدون تقدير، فكرهوا ذلك ، ثمّ بعدها قتلَ عشرة من رؤساء سفهائها وصلبهم ، فهاج لذلك أهل الربض[4] .

إضافة إلى هذه الأسباب، يذكر لنا ابن الأثير سببًا آخر يمكن اعتباره الشرارة التي وَلّدت الثورة ، هو أن مملوكًا من المماليك سلّم سيفه لحدادٍ كي يصقله ، فأخذ يماطل في صقله؛ لأنه مثل أيّ

=(202هـ/817م).ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**، (172/4).النويري ، شهاب الدين ، **نهاية الأرب** ،(17/23).ابن تغري بردي،يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**،(158/1). ابن الأبار، محمد، **الحلة السيراء**،(44/1).ابن عذارى،أحمد،**البيان المغرب**،(75/2-76).

[1] ابن الأبار ، محمد، **الحلة السيراء**، (44/1).الحميري، محمد، **الروض المعطار** ،104.

[2] ابن القوطية ،محمد، **تاريخ افتتاح الاندلس**،50.ابن عذارى، أحمد، **البيان المغرب**،(106/2).المقري، أحمد، **نفح الطيب**،(322/1).

[3] ابن عذارى، أحمد، **البيان المغرب**،(76/2).

[4] ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**،(172/5).

واحد من أهل الربض معبّأً نفسيًّا ضد مماليك الحَكم، ولم يلبث المملوك أنِ انتزع السّيف من يد الحدّاد وقتله به، وذلك في (202هـ/818م)[1].

واستطاع الحَكم أن ينهَي هذه الثورة بإرسال قواته إلى حيّ الربض وإشعال النار فيه ، فلمّا رأى الثّوار منازلهم تحترق أسرعوا إليها، فهاجمتهم القوات لمدة ثلاثة أيام، قُتل خلالها عدد كبير تجاوز العشرة آلاف رجل، وأمرَ الحَكم الباقين الخروج من قرطبة [2].

ث-ثورة المولّدين بقيادة عمر بن حفصون

تُعدّ ثورة عمر بن حفصون من أخطر الثورات وأطولها من ناحية زمنية، فقد استمرّت حوالي خمسين عامًا منذ بدايتها عام (267هـ/880م)، في عهد الأمير محمّد بن عبد الرحمن الأوسط ،ولم يتمّ القضاء عليها إلا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عام (315هـ/928م)[3].

بدأ ابن حفصون ثورته في عهد الأمير محمّد بن عبد الرحمن ، لتجتمعَ بعد ذلك حوله صفوف من الحاقدين على بني أميّة في مدينة رية[4] ، حيث تمكّن من هزيمة عاملها عامر بن أبي عامر، فهادنه الأمير، إلا أنّ ابن حفصون نقض بعهده، فعاد إلى الثورة من جديد، وتصدّى له

---

[1] ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**،(127/5)

[2] ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب**،(72/2).ابن الخطيب، محمد،**أعمال الأعلام**،15.خرج المولدون الباقون في قرطبة إلى عدة أماكن، منهم مَن هاجر إلى العدوة في المغرب، فنزل بعضهم مدينة فاس ، وأُطلق على المكان الذي نزلوا فيه ربض الأندلسيين، ومنهم مَن نزل بأوزفور من أغمات بالمغرب الأقصى ، فحاربهم جيرانهم البربر فانهزم الأندلسيون ، ولجأت جماعات منهم إلى طليطلة .ابن الأبار ،محمد، **الحلة السيراء**،(44/1-45).ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب** ،(77/2).ابن الأثير ، علي، **الكامل في التاريخ**،(172/5).

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر** ،(168/4-174).ابن عذاري، أحمد،**البيان المغرب**،(106/2).

[4] مدينة رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء قبلي قرطبة ، وهي كثيرة الخيرات، ولها مدن وحصون.الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان**، (116/3).

المنذر، إلا أنّ والده تُوفِّي عام (273هـ/886م)[1]، و بالتالي استغلّ ابن حفصون ذلك في إعادة ترتيب صفوفه وسياساته.

وفي هذه الفترة لم يتوانَ المولّدون والنصارى في إظهار ما يختلجُ صدورهم من حقد على الأمويين، خاصّة بعد ما أصابهم في عهد الأمير الحَكم بن هشام الربضي في وقعة الحفرة ، فأخذ ساستهم وكبراؤهم على تعبئة الثورة ومساندتها في كافة الأقاليم التي كانت بها[2].

تابع المنذر مسيرة أبيه في التصدي لهذه الثورة ، فحاصر ابن حفصون أربعين يومًا في قلعة ببشتر[3] بعد أن نقض ابن حفصون العهد مرّة أخرى، حينها شارفت الثورة على الانتهاء إلا أنّ الخليفة قد تُوفِيّ في أثناء الحصار، وذلك عام (273هـ/886م)، ليتولّى أخوه الأمير عبد الله بن محمّد الإمارة، ويهادن ابن حفصون بغية هزيمته، إلّا أنّ ابن حفصون في كلّ مرةٍ يستعيد قوته، حتّى تولّى الأمير عبد الرحمن الناصر الخلافة بعد جدّه عبد الله الذي تمكّن أخيرًا من القضاء على ثورة ابن حفصون الذي تُوفِّي في عام (305م/918م)[4]، وفي ذلك يذكر ابن عبد ربه عددًا من أبيات الشّعر :

لم يَغْزُ وانتَحَى ببشترا فرمتها بما رأى ودبرًا

واحتلها بالعِزِّ والتّمكِينِ ومَحوِ آثارِ بَنِي حَفْصُونِ

---

[1] ابن عذارى، أحمد، **البيان المغرب**،(104/2).

[2] اللافي، عطية، **ثورة عمر بن حفصون**،368.

[3] قلعة بشتر : حصن ببشتر من أمنع حصون الأندلس، بينه وبين مدينة قرطبة ثمانون ميلا، وتُحاط به الكثير من الأنهار والقرى، كما يحتوي على عدد من الكنائس والأديرة، الحميري، محمد، **الروض المعطار**،79.

[4] ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب**،106-114،107،ابن خلدون، عبد الرحمن ، **العبر** ،(173/4).زيتون ، محمد، **المسلمون في المغرب والأندلس**،324.

وعَاضَها الصّلاحُ مِن فَسَادِهِم وطُهرِ القُبورِ مِنْ أجسادهم [1]

استعمل عمر بن حفصون الوسائل كافة من أجل نجاح ثورته إلى الحدّ الذي وصل فيه إلى أن يترك الإسلام ويعتنق المسيحيّة، حتّى يضمن انضمام باقي العناصر الناقمة على الأمويين من أهل الذمة، بالتالي اتخذت ثورته الطابع القوميّ للإسبان، إضافةً إلى تحالفه مع بعض حُكّام ولايات بلاد المغرب ، كالأغالبة ومن بعدهم الفاطميّون الذين نادى بالدعوة لهم قبيل تنصّره[2].

مثّل ابن حفصون في ثورته كلّ ما يحرّض به المولّدون على العرب، فكان يدعوهم إلى الخروج على الدولة الأموية في الأندلس، ويذكّرهم بما أصابهم من ظُلمٍ واضطهادٍ على أيدي العرب، وأنه قام ليردّ لهم حرّيتهم، وهو لا يهدف من ثورته إلى شيء سوى تقوية نفوذه على معظم الأنحاء الجنوبية الغربية من الأندلس بين البحر ووادي شنيل[3] .

تُعدّ ثورة عمر بن حفصون، تجسيدًا حقيقيًا لمشاعر الكُره والعِداء التي يُكنّها المولدون تجاه العرب ،ولعلّ السّبب وراء هذا الكُره هو نموّ الشّعور بالعصبيات العرقية ، أو أنه جاء ردّ فعل لاعتزاز العرب بأصولهم ،إذ لم تكن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعيّةُ للمولدين سيّئةً ، بل إنّ قسمًا منهم

---

[1] ابن عبد ربه ، أحمد ، **العقد الفريد** ،(260/5-261).

[2] حاول ابن حفصون أن يقوي مركزه فعقد صداقات ومحالفات،مع ملك ليون وبني قسى، وكاتب ابن الأغلب صاحب افريقيا ، ونادى للدعوة العباسية في الأندلس، وأرسل ابن حفصون بطاعته للشيعة ، وأظهر بالاندلس دعوة عبيد الله المهدي.ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب**،(139/2).ابن خلدون،عبد الرحمن، **العبر**،(173/4).ديودار، حسين، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**،116.

[3] دويدار، حسين ، **المجتمع الأندلسي**،115.

كان يتمتّع بترفٍ ماديٍّ، كما هو الحال مع المولّدين في إشبيلية، فقد كانوا "أغلظ أهلها شوكةً ، وأوسعهم نعمةً، وأعزهم جانيًا"[1].

ج- الفتنة البربرية[2].

بدأت الفتنة في الأندلس منذ تولّي عبد الرحمن شنجول الحجابة من قِبل الخليفة هشام المؤيد بالله ، وبعد تعيينه " نظر إلى الأمور نظرًا غير سديد، وأنفق الأموال في غير وجهها، وأعانَ على كثير من الناس، وبسطَ يده عليهم، وأخذ أموالهم، ونسب إليهم أباطيلَ من القول والفعل، حتّى قَلِقَ الناس به، وأبغضوه في الله "[3].

وقد أبغضه أهل قرطبة، وخاصة المروانيّون الذين زاد حقدهم عليه بسبب طلبه أن يُولّيه الخليفة العهد، وهو بذلك يهدّد مصالحهم وامتيازاتهم[4]، وبإجباره الخليفةَ على تعيينه وليًا للعهد جعل

---

[1] ابن حيان، حيان، **المقتبس**،(85).

[2] تعددت الآراء والمذاهب حول تحديد المسؤوليات في هذه الفتنة، إذ تذهب أغلب المصادر الأندلسية إلى تسميتها بالفتنة البربرية وتحميل البربر مسؤولية اندلاعها .يقول ابن حيان:" إنّ البربر اعتدَوْا على البلاد، اعتداءً أصارهم إلى ما هم الآن بصدده : من إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والإشراف بالجزيرة على الهلكة". والرأي نفسه يكرره ابن خاقان، لكنّ تيارًا آخر يحمّل المسؤولية لمحمد بن عبد الجبار المهدي، ومنهم ابن عذاري، الذي يقول :" فكان هذا ما فعل السفيه ابن عبد الجبار ورأيه سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسمّيها أهل الأندلس بالفتنة البربرية، ولو سمَّوْها بفتنه ابن عبد الجبار لكان الأحقّ والأولى"، أما ابن الأبار فقال:" محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر باعث الفتنة بالأندلس، وموقد نارها الخامدة، وشاهر سيفها المغمد".ابن حيان ، حيان ، **المقتبس**،193-194. ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**، (274/2).(76/3). ابن الأبار،محمد، **الحلة السيراء**،(5/2).

[3] ابن عذاري،، أحمد، **البيان المغرب**،(38/3).

[4] ابن الخطيب،محمد، **أعمال الأعلام** ،90.

الأمويّين ينظرون إليه نظرة حقد وكراهية، فما أقدم عليه من طلب ولاية العهد سيحرم بني أمية نهائيًّا من السلطة التي احتكرها أسلافهم سابقًا[1].

وممّا زاد من حقد الأمويين عليه تدخّله بأمورهم الخاصّة، ولإذلاله أمرَهم بأن " يتزيّوا بزيّ المغاربة، ويخلعوا القلانس المرقشة الملونة التي كانوا يتميّزون بها عن العامة، ويتباهَوْنَ بها على طبقات الرعيّة، واستبدالها بالعمائم، وتوعّدهم إن هم لم يفعلوا ذلك "[2].

أثار قرار الخليفة بتولية شنجول، بني أمية وطبقتي الخاصّة والعامة في قرطبة، وبدلًا من البقاء فيها من أجل تهدئة الأوضاع قرّر شنجول أن يغزوَ قشتالة، وذلك في عام (399هـ/1009م) في فصل الشّتاء، رغم تحذير قادَة جنده من نتائج هذه الحملة في ظلّ الظّروف الصّعبة التي تمرّ بها الأندلس، خاصّة وأنه وصلهم استعداد المعارضين للقضاء عليه [3].

وفي ذلك الوقت بلغته أخبار بقيام محمّد بن هشام بن عبد الجبّار بمدينة قرطبة، وسيطرته على مدينة الزاهرة مقرّ ملك الدولة العامرية، وأَخْذ أموالها ونَقْلِ جميع ما فيها إلى العاصمة؛ لذلك قرّر شنجول العودة إلى قرطبة، وفي أثناء عودته تخلّى عنه أغلب مَن كان معه من الجند عند وصوله إلى شمال قرطبة وكانوا من البربر[4] .

---

[1] بوباية، عبد القادر، **البربر في الأندلس**،311-312.

[2] النويري،شهاب الدين، **نهاية الأرب** ،(127/23).

[3] بوباية، عبد القادر، **البربر في الأندلس**، 314.

[4] كان أول من انصرف عنه من القواد المغاربة محمد بن يعلى وابن عمه بكساس بن سيد الناس، وأبو يداس بن دوناس اليفرني في جموع زناتة، وزيري بن عرابة المطاطي، وزاوي بن زيري، وحباسة بن ماكسن بن زيري مع مَن كان معهما من صنهاجة، وتوالى بعد ذلك رؤساء القبائل البربرية في الانسحاب من صفوفه، ولحق الجميع بالخليفة الجديد محمد بن هشام المهدي بقرطبة، ومن البربر الذين كانوا معه قاضي الجماعة أبو العباس أحمد =

قُتل شنجول عام(399هـ/1009م) ، حيث تركه جنده وحيدًا أمام ابن عبد الجَبّار، وذلك بعد إيهامه بالحصول على الأمان[1].

انساق محمّد المهدي وراء الأندلسيين في قرطبة، حيث كانوا حاقدين على البربر الذين " كانت الأموية تعتدّ عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين، وتنسب إليهم تغلب المنصور وبنيه على أمرهم"[2].

بعد دخول المهديّ إلى قرطبة ، أرسل جنده لمحاربة أهل مدينة الزاهرة ، فنهبوها وأحرقوها ، فاضطُرَّ الوزراء والصقالبة إلى طلب الأمان من المهدي فأمّنهم[3].

بعد تحكّم المهديّ بزمام الأمور في قرطبة، أسقط سبعة آلاف من جنده، كانوا كلُّهم من الصّقالبة، ثمّ أخرجهم من القصر، فتوجّهوا إلى شرق الأندلس، أسّسُوا فيما بعد إماراتٍ مستقلّةً عن قرطبة[4]، ولعلّ السّبب في ذلك كون الصّقالبة من أفراد الجيش الذي سمح لبني أبي عامر بالاستبداد بحكم بلاد الأندلس[5].

بعد نجاح المهدي في الاستيلاء على الحكم اتّخذَ إجراءاتٍ جلبت إليه الكثير من كراهية العناصر الأندلسيّة، منها انقلابه على بني عمومته من المروانيين، فسجن سليمان بن عبد

= ابن هرثمة بن ذكوان الذي " تبرأ من عبد الرحمن وفسقه وكره أمره، كما استعظم ما يدعو إليه الناس من قتال جماعة المسلمين بقرطبة". ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(3/67-71،68).

[1] نفسه،(3/49).

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، **العبر** ،(7/325).

[3] وكان ممّن في مدينة الزاهرة أبو عمر ، وابن حزم وعبد الله بن سلمة وابن أبي عبيدة وابن جهور وجماعة من الفقهاء والوزراء والصقالبة، ونفر من الجند والخُزّان والكُتّاب . النويري،شهاب الدين، **نهاية الأرب**،(23/130).

[4] ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(3/74).النويري،شهاب الدين، **نهاية الأرب**،(23/134).

[5] بوباية، عبد القادر، **البربر في الأندلس**،320.

الرحمن الذي قد جعله وليّ عهده، وسجنَ معه جماعةً من قريش، كما أظهر بغضَه للبربر، وذلك من خلال سبّهم في مجلسه[1].

ثمّ بعد تخلّي البرابرة عن شنجول، كانوا ينتظرون قُبول المهدي لهم وإبقاءَه على مكانتهم، ولكنه عِوضًا عن ذلك " أعلن بغضهُ للبرابرة، وتنقصهم جهلًا بمحلّهم من البأس والعصبية"، كما أساء العامة الذين أصبحوا جزءًا من جند المهديّ إلى البربر، ومن الأمثلة على هذه الإساءة الناتجة عن الحقد والكراهية ، ما قام به العامة في حقّ زعيم صنهاجة زاوي بن زيري حيث " احتبس في الباب مدّةً لا يُفرج عنه ولا يُعرف مكانه، وكلّما هم بالاستقدام ردّوه وقرعوا رأس فرسه، فلمّا أكثروا عليه جعل يقول: هذا الرأس فاضربوا، فالدابة لا ذنب لها"[2].

لم يكتفِ المهديّ بهذا الحدّ، وبدلًا من إطفاء نار الفتنةِ، أمر أن ينادَى في الناس مَن أتى برأس بربري فله كذا، استغلّ أهل قرطبة ذلك، فارتكبوا عدّة مذابح، حيث دخلوا على وسنار البرزالي، وكان ممن له آثار جميلة في الجهاد ، فذبح على فراشه في داره ، ودخلوا على رجل صالح فذُبح في داره، ونُهِبت ديار البربر، وهتكُوا أعراض حريمهم وسَبَوْا نساءهم ..."،كان قسم كبير من البربر قد خرجوا من قرطبة، ومعهم سليمان بن الحكم الذي خرج من قرطبة بعدما قتل المهديّ أفرادا من بني أمية ، وقد ولّاه البربر عليهم [3]،وبايعوه بالخلافة ولقبّوه بالمستعين بالله ، ونظراً لقلّة جنده من البربر، استعان بسانشو غرسية ملك قشتالة، واستطاع هزيمة المهدي في موقعة

---

[1] النويري،شهاب الدين، **نهاية الأرب**،(135/23). ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(77/3-80). ابن الخطيب، محمد،**أعمال الأعلام**،(112/2-113).

[2] ابن عذاري، أحمد،**البيان المغرب**،(75/3-78).

[3] **نفسه**،(82/3-80).

قنتيش[1]، ودخل قرطبة عام (400هـ/1009م)[2]،ثمّ وقعت مرةً أخرى معركةٌ في موضع يُعرف باسم عقبة البقر استعان فيها المهدي وواضح بقومس برشلونة ريموند بوريل الثالث ليساعده في الحرب مقابل شروط مجحفة ، انهزم فيها المستعين وجيشه البربري ، ليقوم واضح الصّقلّي بعدها بقتل المهدي ، وأُعلن هشام المؤيد خليفة للمرة الثانية[3] .

حاول هشام المؤيد استمالة البربر ، فأرسل رأس المهدي إلى سليمان المستعين داعيًا إياه إلى ترك الفتنة والدخول في طاعته[4]، ولكنّه رفض، وأطلق يد البربر على قرطبة والزهراء يسلبون وينهبون فهاجموا قرطبة وانتقموا من أهلها[5]، فقد كان البربر يضمرون حقدًا لأهل قرطبة لما ارتكبوه في حقّهم، وخاصّة في فترة خلافة المهدي، وهكذا شدّد البربر الحصار على قرطبة وقطعوا عنها المؤنَ حتّى أصابتهم مجاعة [6]، ثمّ ساروا إلى مدينة الزهراء عام (401هـ/1010م) [7] فهاجموها وقتلوا معظم الجند بها ، ممّا زاد من حقد أهل قرطبة على

---

[1] قنتيش: هو موضع إلى شمال شرقي القليعة غير بعيد عن ملتقى وادي ارصلاط المعروف بالوادي الكبير ، وتعتبر موقعة قنتيش من المعارك الحاسمة، فقد كانت أولا قاضية على خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار وعلى كل أمل في إعادة الخلافة الأموية ، وكانت ثانيًا مؤكدة لانقسام العسكر الأندلسي إلى قسمين رئيسين متعادين البربر في ناحية والأندلسيين في ناحية أخرى فقد انهزم فيها محمد بن عبد الجبار والأندلسيون هزيمة قاصمة وانتصر البربر تؤيدهم فرقة من النصارى ، بعد ذلك شعر حكام النواحي بالأمل في إعادة السلطة المركزية، فبدا كل منهم يستقل بناحيته، لهذا يمكن اعتبار تاريخ هذه المعركة البداية الحقيقية لفترة الطوائف .ابن الأبار،محمد، **الحلة السيراء**،(6/2).مسعد ، سامية ، **التكوين العنصري**،140.

[2] ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(87/3).

[3] عقبة البقر : هو حصن على عشرين كيلوا مترا شمال قرطبة إلى الجنوب الغربي قليلا. ابن الابار،محمد، **الحلة السيراء**،(7/2).

[4] ابن عذاري، احمد، **البيان المغرب**،(100/3-101)

[5] ابن بسام،علي، **الذخيرة**،(32/1).المراكشي،عبد الواحد، **المعجب**،43.

[6] ابن الأبار ،محمد، **الحلة السيراء**،(7/2).

[7] ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(102/3).

البربر ، فاضطُرّ الخليفة هشام المؤيد إلى بيع ذخائر قصره للحصول على السلاح والمال[1] ، وفي تلك الأثناء وصل رسول سانشو غرسية يطلب تسلميه الحصون المتفق عليها، نظيرَ ما قدمه من مساعدات، بالتالي تمّ تسليمه حوالي مائتين من الحصون[2].

وأمام حصار البربر لقرطبة ، وقتلهم لواضح حاجب المؤيّد، لم يستطع المؤيد القيام بأعباء الدولة، فتنازل عن الخلافة للمستعين ، فاستتبّ الأمر له ، لكنّ الأوضاع ازدادت سوءا مع ازدياد نفوذ البربر الذين سيطروا على أمور الدولة كافةً واستأثروا بالمناصب العليا، وخضع المستعين لرغباتهم، فقسَم بعض كور الأندلس على قبائلهم، ممّا أدى إلى تمزّق وَحدة البلاد، واستقلّ الصّقالبة ببعض مدن شرق الأندلس[3].

أصبحت الخلافة الأموية في الأندلس منقسِمة على نفسها بين البربر والأمويين والصّقالبة، وطمع فيها الطامعون وعلى رأسهم عليّ بن حمود الذي كان قد تولّى سبتة من قبل الخليفة سليمان المستعين، فأرسل إلى خيران العامري صاحب المرية في حينها كتابا زعم فيه أنه تلقاه من الخليفة هشام يولّيه فيها ولاية العهد، وأرسل الخليفة هشام هذا الكتاب سرًّا إلى سبتة[4].

وقف خيران العامري والفتيان العامريّون من الصقالبة إلى جانب علي بن حمود وبايعوه ودَعَوْا له بولاية العهد، وقتلَ المستعين وأباه وأخاه، وباعتلاء علي بن حمود الحكم بقرطبة انتهت حياة الدولة الأموية بالأندلس بعد أنْ عاشت مائتين وستّين سنة ميلاديةً (مائتين وتسعاً وستّين سنة هجريّةً)، وكانت هذه الدولة خلال عهد هشام المؤيد مجرّد ستار للمتغلّبين من بني أبي عامر ،

---

[1] ابن الخطيب، محمد،**أعمال الأعلام**،117.

[2] ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(103/3-104).

[3] **نفسه**،(113/3)

[4] الضبي،أحمد، **بغية الملتمس**،21.ابن بسام،علي، **الذخيرة**،(26/1-29)

تضطرب في غمار الفتنة والفوضى[1]، انتهج علي بن حمود سياسةً تقوم على الاستعمال المفرط للقسوة في معاملة البربر، حتّى صار أقلّ الرعية يرفع أعيانهم إلى الحُكّام بما شاء من وجوده الدعاوى، فتجري عليهم الأحكام[2]، ويؤكّد ذلك ابن الخطيب في قولة :" لَمَّا صارت إليه الدولة قهر البرابر[3].

لكن سرعان ما انقلب عليه خيران العامري الذي دعا للأمويين ، فاستقدم رجلا من بني أميّة يُدعى عبد الرحمن بن محمد، ورشّحه للخلافة ولقّبه بالمرتضى[4]، وقتلَ الصقالبةُ عليَّ بن حمود عام (408هـ/1018م)، بعدها أصبح هناك خليفتتان من بني حمود اعترفا ببعضهما البعض ، إلا أنّ أهل قرطبة ضاقوا ذرعاً بالحموديين لضعفهم وتمكينهم البربر الذين سيطروا على الدولة ، فأعلنوا الثورة والعصيان ،وبايعوا سليمان بن عبد الجبّار واتخذ لقب المستظهر بالله ، إلا أنه لم يستطع أن يقوم بشؤون الدولة ، فقد سيطر الجند عليه، وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية ، وحقد عليه أهل قرطبة حين استعان بغيرهم من الفتيان في وظائف الدولة ، ولترحيبه بالبربر، فقتلوه في قصره عام (414هـ/1024م)[5].

وتوالى على حكم قُرطبة خلفاء عدّة إلى أن اجتمع أهل قرطبة وفقهاؤها على ردّ الأمر إلى بني أمية فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمّد، واتخذ لقب المعتمد بالله ، إلا أنّ الجند قتلوه عام

---

(1) عنان ، محمد، **دولة الاسلام في الاندلس**،(660/1)

(2) ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(121/3).

(3) **اعمال الاعلام**،129.

(4) الضبي،أحمد، **بغية الملتمس**،27. المراكشي،عبد الواحد، **المعجب** ،49-50. القلقشندي،أحمد، **صبح الأعشى**،(246/5).

(5) ابن عذاري، أحمد، **البيان المغرب**،(122/3-124).الحميدي، محمد،**جذوة المقتبس**،22.ابن بسام، علي، **الذخيرة**،(482/1).

(422هـ/1013م)، فسار كبار الوزراء بزعامة بن حزم ابن جهور إلى القصر، وأعلنوا إبطال الخلافة وإزالة الأمويين وطردهم من قرطبة[1] .

تميّزت هذه الفتنة بكره شديد بين البربر والأندلسيين إذ هي وجه من وجوه العنصرية، التي أدت إلى اندلاع حرب انتُهكت فيها جميع الحرمات، حتى طال العمران، إذ هُدِّمت الدور، وخُرِّبت المباني ،كما كانت الفتنة سبباً في حدوث انقسام في المجتمع الأندلسيّ ، فأصبح قسمين: قسم يمثّل البربر، وقسم يمثّل باقي عناصر المجتمع الأندلسي خاصّة العرب والصّقالبة ، كما مهدّت هذه الفتنة لتدخل ملوك النصارى في الأندلس، والانتقام من المسلمين فيها ، فاستعادوا ما فقدوه سابقا ، وأدى ذلك إلى انقسام الأندلس إلى ممالك مستقلّة .

[1] ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(146/3).

3- العنصرية في الحياة الفكرية

أ- العنصرية المذهبية

للحديث عن المذهب المالكي، وملامح العنصرية التي ظهرت فيه باعتبارها معارضةً للمذاهب الأخرى و بعض حُكّام الأندلس، سأعرض لهذا الأمر من ناحية تعصّب للمذهب وليس من ناحيةٍ دينيةٍ عقائديةٍ ،ظهر في الأندلس مذاهب فقهية عديدةَ منها مذهب الأوزاعي [1] الشّامي ، وهو أول مذهب دخل الأندلس ، ثمّ مذهب الإمام مالك [2] الذي جاء بديلاً عن مذهب الأوزاعيّ ، ومذهب الإمام الليث ابن سعد المصري، وكان في الأندلس سائر المذاهب الفقهية المعروفة كمذهب الإمام الشّافعيّ، ومذهب أبي حنيفة الذي اعتنقه قلّة ، ومذهب أهل الظّاهر[3]، وبشكل عام كان التنافس بين مذهب الإمام مالك وهذه المذاهب [4].

---

[1] مذهب الأوزاعي :نسبة إلى عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي إمام الشام ، اعتنقه الأندلسيون من عام (88هـ/707م-157هـ-774م)، بحكم الرابطة المتينة بين الأندلس وبلاد الشام، ولأنّ غالبية العرب الذين شاركوا في فتح الأندلس ، والذين استوطنوها فيما بعد كانوا من الشاميين، فاعتنقوا هذا المذهب ، تبناه الحُكّام الأمويون في الأندلس ، خاصة عبد الرحمن الداخل وابنه هشام، فأصبح المذهب الرسمي للأندلس، لكنه ضَعُف فيما بعد أمام مذهب الإمام مالك.المقري، احمد، **نفح الطيب** ،(229/2).الحجي ، عبد الرحمن، **التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**،281-282.أبو الضبعات، ولاء،**الحياة العلمية في عهد الامارة الأموية** ،17.

[2] مذهب الإمام مالك : نسبة إلى مالك بن أنس من المدينة، وهناك عدة أسباب لاعتناق الأندلسيين مذهبه، منها أنّ الإمام مالك كان في مجلس من مجالسه مع طلبة الأندلس، فأبدى إعجابه بالأمير هشام ومدحه بعدما سمع من طلابه عن حسن سيرته وأخلاقه .المقري، احمد، **نفح الطيب**، (328/1).

[3] دخل المذهب الظّاهريّ للأندلس على يد عبد الله بن محمد قاسم بن هلال القرطبي، حيث رحل للمشرق في عهد الأمير محمد، وتلقى العلم على يد داوود الأصبهاني مؤسّس المذهب، كما وجد عددا من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ومهّدوا للفقه الظاهري، ومنهم بقي بن مخلد . الحنبلي ، ابن عماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،(298/3-299).

[4] الحلبي، رامز، **عوامل سقوط الأندلس**، 153. ابن سهل ، عيسى، **ثلاث وثائق في محاربة البدع** ،6.كولان، جورج ،**الأندلس**،146.الجيوسي ، سلمى ، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**،(1184/2).

تمسّك الأندلسيّون بالمذهب المالكي بعد أن انتشر بالأندلس ، ونبذوا ما سواه من المذاهب، وقد تشدّد الفقهاء في ذلك ، وممّا يدلّ بوضوح على تشدّد فقهاء المالكية وتعصّبهم موقف علماء الأندلس وثورتهم على بقي بن مخلد، حينما أدخل إلى الأندلس رسالة الإمام الشافعيّ ، وكادوا يقتلونه لولا أنْ عصمه الله منهم ، ثم التجأوا إلى الأمير الذي صرفهم عنه[1].

ويذكر المقدسي مثالًا على تعصب المالكية بقوله :" وأما المذاهب، فعلى ثلاثة أقسام : أما في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع ، وهم يقولون : لا نعرف إلا كتابَ الله وموطّأ مالك ، فإن ظهروا على حنفيّ أو شافعيّ نَفَوْه ، وإن عثروا على معتزليّ أو شيعيّ ونحوهما ، ربّما قتلوه .. وكنت يوماً أذاكر بعضهم في مسألة، فذكرت قول الشَافعيّ ، فقال اسكت ! من هو الشافعي ؟ إنما كان بحران : أبو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، أفنتركهما ونشتغل بالساقية ؟ ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشّافعيّ ، وقالوا : أخذ العلم عن مالك ثّم خالفه[2].

وممّا يدلّ على كرههم قول أحدهم :" لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحبّ إليّ من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة [3].

كان لفقهاء المالكية نفوذ كبير، إلا أنّ بعض الأمراء عرفوا كيف يُقيّدون نفوذهم كالحكم الربضي، فقد سمحوا وشجّعوا على دخول تيارات فكريةٍ ومذهبيةٍ جديدة ما دامت لا تمسّ سلامة العقيدة ولا تهدّد نظام الحكم مثل الأمير محمد الأول ، والحكم المستنصر، وقد أسهم فقهاء المالكية في

---

(1) المقري، أحمد، **نفح الطيب**،(265/3).العوفي، سلمي، **الحسبة في الاندلس**،116.

(2) المقدسي، محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،236.بروفيسنال، ليفني ، **الحضارة العربية في إسبانيا** ،159.

(3) ابن الفرضي،عبد الله، **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**،(247/1).بدر، احمد ، **دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها** ،168.

ثورات قرطبة ، وتصدّى الحكم الربضي بشخصيته القوية للفقهاء ، فاتهموه بالهرطقة وألبّوا الشعب ضدّه، ووصفوه بالطاغية الفاحش الثراء ، على الرغم من أنهم لم يكونوا أقلّ منه ثراءً [1]، وتجدد الإشارة إلى أنّ تصدّيَ الحَكم للثورة في قرطبة أو مواجهتها بقسوة وصلبه نحو سبعين من المتآمرين أمام دار الإمارة ، جعل الآخرين يتّخذون الحذر ، فتريّثوا حتّى تسمح الظروف ببسط سلطتهم على الحكم [2] ، ومن أشهر الذين أسهموا فيها الفقيه عيسى بن دينار ، الذي بدوره أسهم في الثورات مع العامة ضدّ الحَكم الأول ، ثمّ اختفى زمناً بعد فشلها ، ثمّ عفا عنه الحَكم[3].

ازدادت قوة فقهاء المالكية مع مجيء المنصور بن أبي عامر، حيث كان بحاجة إلى تأييد الفقهاء لاستبداده بالسلطة وأخذها من الأمويين ، فقربهم إليه وأمر بحرق كتب الفلسفة ، وأعطاهم حرية محاسبة الكثيرين على عقائدهم، فاتّهم الكثيرين منهم بالزندقة[4]، ولذلك أخذت حُرّية العلماء في إلقاء دروسهم تُقيَّد شيئاً فشيئاً، ويبدو أنّ المنصور قد لجأ إلى فعل ذلك من منطلق سياسيّ، فيُقال أنه كان محبًا للفلسفة في قرارة نفسه[5] .

---

[1] ابن عذارى،أحمد، **البيان المغرب**،(71/2–73). بيضون، إبراهيم ، **الدولة العربية في إسبانيا**،229.

[2] نفسه ،(73/2).

[3] بروفيسنال، ليفني ، **الحضارة العربية في إسبانيا** ، 156.أبعد الحكم الفقهاء عن مناصب الدولة ، ورفع عنهم الامتيازات التي منحها لهم هشام فاتهموه بالكفر والخروج على الدين، وحرضوا عليه فئات الشعب، وناصبوه العداء ، ووضعوا العراقيل في سبيل حكمه. الفقي ، عصام ، **تاريخ المغرب والاندلس**، 81.

[4] الطرطوشي،محمد، **سراج الملوك** ،167.ابن الابار ،محمد، **الحلة السيراء**،(268/1).

[5] المقري،أحمد، **نفح الطيب**، (221/1).ديدودار،حسين، **المجتمع الاندلسي في العصر الاموي**،147. الدغلي، محمد، **الحياة الاجتماعية في الاندلس وأثرها في الأدب** ،31.وما يدل على ما تمتع به الفقهاء من مكانة إضراب أبي عمر بن المكي الاشبيلي شهرين عن الفتوى احتجاجا على المنصور بن أبي عامر لقتله عبد الملك بن منذر البلوطي ظلمًا. أمين ، أحمد، **ظهر الاسلام** ،66. الدغلي، محمد،**الحياة الاجتماعية في الاندلس وتأثيرها على الأدب** ،33.

وممّا يدلّ على أنّ هناك مَن كان يبغض الفقهاء ربّما لعنصريتهم و تأثيرهم على الأمراء قول أحد الشّعراء :

دَرَسُوا العُلومَ ليملِكُوا بجِدالِهم فيها صُدُورَ مَراتِبَ ومَجَالسِ

وتَزَهّدوا حَتّى أَصَابُوا فُرصَةً في أَخْذِ مَالِ مَسَاجِد وكَنَائِسِ [1]

يقول المقري نقلًا عن ابن حزم:" إنّ يحيى بن يحيى كان مكينًا عند السلطان، مقبولَ القول في القضاء، وكان لا يلي قاضي في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه "[2].

يُستنتج من قول ابن حزم أنّ التعصّب للمذهب دفع المسؤولين إلى عدم توظيف أحد إلا إذا كان من مذهبهم وفكرهم نفسه، فلم يكن يحيى بن يحيى(أهمّ فقهاء المالكية) يسمح بتعيين إلا مَن كان من أتباعه وأصحابه في القضاء، وذلك في عهد عبد الرحمن الأوسط، فبالإضافة إلى العنصرية يمكن أن نعدّها صورًا من صُور الفساد الإداري ، فقد استُخدمت طُرق غير مشروعة ، للحصول على الوظائف، على الرغم من أنّ جميع المذاهب التي ظهرت في الأندلس هي مذاهب سُنّية أي، أنها لا تخالف مذهب مالك .

قد يبرر البعض بأنّ التمسّك بمذهب مالك وجعله المذهبَ الوحيدَ المتّبعَ في الأندلس مرتبط بوحدة الأندلس السياسيّة، وهذا أدى بالأندلسيّين إلى الحفاظ على وحدتهم السياسيّة والمذهبيّة، ورأَوْا في كلّ ما يهدّد تماسكهم المذهبيّ خطرًا يهدّد كيانهم السياسيّ [3].

---

[1] أمين ، أحمد، **ظهر الاسلام** ،66.

[2] المقري، أحمد ، **نفح الطيب**، (218/2).

[3] ابن سهل ، عيسى،**ثلاث وثائق في محاربة البدع** ،7.

على الرغم من اتباع الأندلس مذهبًا واحدًا وهو مذهب مالك، إلا أنّ الأندلس أصابتها الفتن والثورات، وجلّ سنواتها عانت من اضطراباتٍ داخليةٍ وخارجيةٍ، فمعظم حروبها كانت إما فتنًا داخليةً أو خارجيةً مع النصارى، ولم تستطع الحفاظ على وحدتها السياسيّة؛ وذلك بسبب وجود عواملِ أخرى شجّعت على الفتن والثورات.

لا شكّ في أنّ إقصاء المذاهب المخالفة يصاحبه قمع للحريات العامة ، إذ لا يمكن إجبار الناس على مذهب فقهي واحد، وكذلك يصاحبه بطش بالعلماء[1] .

ب- العنصرية من خلال الأدب

نجد في بدايات فتح الأندلس ظهور ما يُسمّى بالهجاء القبليّ ما بين القيسية واليمانية، يقول ستانلي لين بول: " ما كادت الفتوحات تهدأ ويستقرّ سلطان المسلمين بالأندلس حتّى تيقظت فيهم روح العصبية القبلية، عاتيةً مدمرةً ممّا أدى بالبلاد إلى طوفان من الفوضى والانحلال"، وبلغت هذه العصبية ذروتها في عصر الولاة [2].

ومن صور الهجاء القبليّ وما يعكسه من عنصرية قول ابن خطار في القيسية بعد قتلهم واحدًا من أعظم رجال قبيلته في الأندلس، وهو سعيد بن حواس[3] :

فليتَ ابنَ حَواس يُخْبُر أَنني سَعَيْتُ به سَعْيَ امرئٍ غيرِ غَافِلِ

قَتَلْتُ بهِ تِسعينَ يَحْسِبُ أنّهم جُذُوعُ نَخيلٍ صُرِعَت في المَسايلِ

---

[1] الحلبي ، رامز ، **عوامل سقوط الاندلس** ، 154.

[2] .51. Pool.stanly.**the moors in spain**.عيسى ، فوزي ، **الهجاء في الأدب الأندلسي** ،58.

[3] رينهارت، دوزي ، **تاريخ مسلمي إسبانيا (الحروب الاهلية)**،(168/1).

ولو كَانتِ المَوتَى تُباعُ اشتريتُهُ بكفّي وما استثنيْتُ منها أناملي[1]

وعندما درات الحرب بين الكلبيين والقيسيين، قال الصّميل ليحيى بن حريث، وقد سيق إلى الموت بعد هزيمته :" يا ابن السوداء، هل بقي في قدحك شيء لم تشربه"[2].

وثمة رواية تقول إنّ الصميل نظم قصيدة يُعبّر فيها عن غضبه من اليمنيين، ورغبته في الانتقام منهم، ولكن لم يصل منها غير هذا البيت :

أَلا إنّ مَالي عندَ طّي وَدِيعةٌ ولا بدّ يومًا أن تُردّ الوَدائعُ [3].

و يذكر لنا أحمد هيكل نماذج من الشّعر المناصر للعنصرية في الأندلس، منها قول شاعر مولّد يُلقّب بالعبلي، في الهجوم على عرب إلبيرة [4]:

مَنازِلُهم منهمُ قِفارٌ بَلاقعٌ تُجَاري السفن فيها الرياحَ الزَعَارِعُ

وفي القَلعةِ الحَمّراءِ تَدبيرُ زَيّغِهِم ومنّها عليهِم تَستديرُ الوقائعُ

كما حَصَدتُ آباءَهُم في ضَلالِهم أَسنتنا والمرهفاتُ القواطعُ

وقد ردّ عليه الشاعر الأسدي شاعر العرب، فقال:

مَنازلنا معمورة لا بلاقعُ وقلعتُنا حِصْنٌ منَ الضّيم مَانِعُ

وفيها لنا عِزُ وتدبيرُ نُصْرةٍ ومنها عليكُم تَستِتبّ الوَقَائِعُ

---

[1] الحميدي ،محمد، **جذوة المقتبس**،188-189.

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،60.

[3] هيكل ، احمد ، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة** ، 134.

[4] ابن القوطية ،محمد، **تاريخ افتتاح الاندلس**،22.

ألا فأْذَنوا منّا قريبًا بوقْعةٍ تَشِيب لها وِلدانُكم والمَراضِعُ[1]

و من نماذج الشعر العنصري أيضًا قول العبلي شاعر المولّدين في قصيدة له عن العرب عند موت سوار بن حمدون:

قدِ انقَصَفَت قَناتُهُم وذَلّوا وزُعْزِعَ رُكّنُ عِزّهم الأَذلُ

فما طَلَتْ دِماؤُهُم لديهِم وها هُم عندَنا في البيرِ طَلُ [2]

وقد ردّ عليه سعيد بن جودي يناقضه :

لسوارَ على الأعداءِ سيفُ أباد ذَوي الغَوايةِ فاضْمَحَلّوا

سَقَاهُم كأسَ حَتْفٍ بها نَهلَ العبيدُ معًا وعَلُّوا

قتلتَ بواحدٍ سوارَ ألفا وألفُهم بواحِدِنا يقلُّ

وأكثرُ قتلِنا لَهُم حَلالَ بما ارتكَبُوه ظُلْما واستحَلُّوا

فأورَدْنا رقابَهم سُيُوفًا تَشِبُ النارُ مِنْها إذ تُسَلُّ

وَرِثْنا العِزّ عن آباءِ صِدْقٍ وإرثُكُم بَني العَبدانِ ذُلُّ

---

[1] ابن حيان،حيان، **المقتبس**، (62/2)

[2] ابن الابار،محمد، **الحلة السيراء**،(153/1-154)

ولمّا قُتِل سوار بن حمدون ذلّت العرب بمقتله، وكان قد أُصيب على أيدي بعض أصحاب عمر بن حفصون، فيقال: إنّ جثته مزّقتها ثكالى نساء المولّدين قطعًا ، وأكله كثير منهنّ حنقًا عليه، لمِا نالهنّ به المرة بعدَ المرة من الثكل في أزواجهم وأهلهم[1].

ومن الأشعار المتصلة بالحركة العنصرية قول الأسدي، وهو يقرّر أنّ من أعظم أمجاد العرب ودواعي سيادتهم كون النبي " صلّى الله عليه وسلّم " منهم ، وكون الخلفاء والمهاجرين والأنصار من آبائهم :

أنتمُ قَليلٌ ، كَثيرٌ فِي غنائِكُم وغيرُكُم قلل فِيكُم وإن كَثّروا

أليسَ مِنكُم نبيُ اللهِ أكرمُ مَنْ بَرا الإلهُ وجاءَت بهِ السُّورُ

وصَاحِباه: أبو بَكْرٍ خَليفتُهُ وخُدنه المرتَضَى مِن بَعْدِهِ عُمَرُ

ومَعْشَرُ هاجَروا في اللهِ رَبّهم والتابِعُونَ مَن آوَوْا ومَن نَصَرُوا

قُلْ للقَبائِلِ مْنِ هُودً ومنْ أَدَدٍ تقبلوا النُصْحَ إذ قلنَاهُ أو فَذَرُوا

مَا إن تَرْكتُ لكم نُصْحًا لمنْتَصِحِ والنُصحُ عندَ ذوي الألبابِ مُدِّخَرُ[2]

ومن الأمثلة أيضًا هجاء القسطلي للزعيم البربري زيري بن عطية المغراوي حينما أعلن الثورة على المنصور بن أبي عامر، مهدّدا إياه بسوء المصير على يد الجيوش والأساطيل العامرية :

أَراقِمُ تَقرِي نَاقعَ السُّمّ مَا لَها بما حَمَلَت دونَ الغُواة مَقيلُ

---

[1] ابن الابار،محمد، **الحلة السيراء** ،(155/1).

[2] ابن حيان ،حيان، **المقتبس**،4.

إذا نَفَثَتْ في زَورِ زيري حُمَاتُها فَويلٌ لَه من نَكزِها وأليلُ

هُناكَ يبلُو مَرْتَعُ المَكرِ إنه وَخِيمٌ عَلَى نفسِ الكُفُور وبيلُ [1]

ومن أقواله في المنصور :

هوَ الحَاجِبُ المَنْصُورُ والمَلِكُ الذي سَعَى فَتَعالى جَدّهُ فَتَنَاهَى

سَليلُ المُلوكِ الصِّيدِ مِن سَرو حِميرٍ تَوسّط في الأحسَاب سمك ذَراها[2]

وهو هنا يمدح العرب ، بحسبهم ونسبهم ، وهذا الاعتزاز بالعروبة جعل كلًّا من ابن حزم في رسالته الشهيرة " في فضل الأندلس"، والشقندي ، يفتخران بابن دراج ويلزمان أهل المغرب الحّجة في أنّ أرض العدوة لم تستطع أن تنجب شاعرًا مثلَه، على الرغم من معرفتهما أنه بربري الأصل[3]، ربمّا تغاضى ابن درّاج عن أصله في بلاط بني عامر، لعدم إثارة الحساسيّات النسبية والعصبية ، وفتح مآسي الصّراع العّربي والبربريّ، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنّ العامريين شككوا في مراميه ولم يجد منهم آذانًا صاغيةً [4].

---

[1] ابن دراج، احمد ، **ديوان ابن دراج القسطلي**،25.

[2] نفسه،12.

[3] طربيه، جرجي، **التعصب العنصري** ،64

[4] ابن دراج، احمد ، **ديوان ابن دراج القسطلي**،71.

الفصل الثالث

وسائل التصدي للعنصرية

1- استخدام القوة العسكرية

اندلعت في الأندلس ثورات واضطرابات عدّة تنم عن نزعة عنصرية، كان لا بدّ منّ التصدّي لها باستخدام القوة المسلّحة .

فمن أجل التصدي لثورة البربر عام (123هـ/741م) استعان عبد الملك بن قطن بالجيش الشّامي، على الرغم من رفضه إدخالَهم الأندلس في البداية، إلا أنه بسبب قوة البربر اضطُرّ لطلب مساعدتهم، وفي ذلك يقول صاحب أخبار مجموعة :" ... ركب أهل الشّام ولبسُوا السّلاح، ثمّ فرقوا قواد الجيوش في أرض الأندلس فقتلوا البربر حتى أطفأوا جمرتهم"[1]، ويقول المقري : " وقتلهم العرب بأقطار الأندلس حتّى ألحقوا فلهم بالثغور وخَفُوا عن العيون"[2].

معلومّ أنّ الأمير الحكم بن هشام "أول من جنّد بالأندلس الأجناد والمرتزقة، وجمع الأسلحة والعدد، واستكثر من الحشم والحواشي، وارتبطت الخيول على بابه، واتخذ المماليك، وكان يسمّيهم الخُرس لعجمتهم، وبلغت عدتهم خمسة آلاف، وكان يباشر الأمور بنفسه ، وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس"[3]، وكان يُشَّبه بأبي جعفر المنصور في شدّة البأس، وتوطيد الدولة وقمع الأعداء[4] .

---

[1] مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**، 38-39.

[2] المقري أحمد، **نفح الطيب**،(20/4).

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن ، **العبر** ،(127/4).

[4] المقري، أحمد ، **نفح الطيب**،(319/1).

حتّى كان له ألف فرس على باب قصره ، عليها عشرة من العرفاء، لكلَ عريف مائة فرس، فإذا ما أراد أن يثور أحد عليه استطاع أن يقضي عليه قبل أن يشعر به[1]، وبذلك استطاع أن يقضيَ على ثورات المولّدين من خلال استخدام القوة المسلحة، وذلك من خلال ذَبْحِهِ مَنْ ثاروا عليه بطليطلة، وصلبهِ الفقهاء الذين حرّضوا الثوار عليه في قرطبة، حيث بلغ عددهم اثنين وسبعين رجلًا[2]، كما أنه أمر بإحراق بيوت الثُّوار في الربض، وصلب ثلاثمائة منهم على نهر الوادي الكبير، ثمّ بعدها أمر بوقف القتل وإعطائهم الأمان[3].

وثَمّةَ ثوراتٌ احتاج القضاء عليها حملاتٍ عسكريةً مثل ثورة عمر بن حفصون ، حيث خرج الأمير عبد الله، وتولّى قيادة الجيش بنفسه لمواجهة هذه الثورة، عام (278هـ/892م) وذلك على رأس قواتٍ بلغت أربعة عشر ألف مقاتل[4]، إضافة إلى حملات الصّوائف والشّواتي[5].

وتم أيضًا استخدام القوة المسلّحة لمواجهة فتنة البربر في القرن الخامس الهجري، قُتِلَ فيها الكثير من البربر والعناصر الأخرى، حيث اندلعت فيها حرب طالت جميع مَن في المجتمع الأندلسيّ من شيوخ وأطفال ونساء وعمران، كما قُتِل فيها الكثير من الفرنجة؛ وذلك أن العناصر الأندلسية من عرب وبربر استعانوا بهم كحلفاء، فما حدث في الأندلس في بداية القرن الخامس الهجريّ

---

(1) ابن القوطية ،محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،46.

(2) ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(106/2)

(3) **نفسه**،(114/2).

(4) ابن عذاري،أحمد، **البيان المغرب**،(186/2).

(5) مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،151.

يبين ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم، حيث كان هناك موالاة لغير المسلمين، وانتشر الحقد في نفوس العناصر الاندلسية [1].

بالإضافة إلى الثورات التي كان معظمها لا بدّ من التصدّي لها ظهرت بعض الحركات التي قام بها النصارى، فعلى الرغم من التسامح والحرّية الدينية التي حَظُوا بها إلا أنهم كانوا متعصّبين، وشاركوا في مؤامرات ضدّ الدولة الإسلامية في الأندلس بالتعاون مع الممالك الشّمالية للنصارى ، والقيام بأفعال تثير المسلمين بالتطاول على الدين الإسلاميّ، وشتم النبيّ وسبّه؛ فكان لا بدّ من الدولة أن تقضيَ على مثل هذه الحركات، بما يتناسب مع الأوضاع في حينه.

من الحركات التي أوجدها النصارى أو المستعربون رغم التسامح الديني الإسلاميّ معهم حركة الاستشهاد كما يسمّيها المؤرّخون غير المسلمين، وتقوم هذه الحركة على سبّ الدين الإسلاميّ والرسول محمّد "صلّى الله عليه وسلّم"، على الرغم من علمهم المسبّق بالحكم الإسلاميّ، وهو الإعدام على مَن يقوم بذلك، إلا أنهم كانوا يعدّون إعدامهم استشهادًا، بدأت هذه الحركة عام (235هـ/850م) بإعدام قس اسمه برفكتو، في أول أيام عيد الفطر؛ لأنه وأثناء نقاشه مع أحد المسلمين، انفعل وشتم الإسلام[2] .

استغلّ المتعصّبون من النصارى هذا الحادث لإشعال نار الحقد على المسلمين، واستمرّت هذه الحركة، مما دفع الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى دعوة أساقفة الأندلس لحضور مَجْمَع كنسيٍّ

---

[1] بوباية ،عبد القادر، **البربر في الاندلس**،308.

[2] صفي الدين، محي الدين، **المستعربون**،119.

عام(237هـ/852م)، بهدف اتخاذ موقف من هذه الحركة، وقد اتفق المَجْمَعُ على اعتبارها انتحارًا ولا تمت للمسيحية بصلة[1] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الحركة لم تتوقّف، فاضطُرّ القضاة المسلمون إلى إصدار أحكام بالإعدام، ولم تختفِ تلك الحركة إلا بعد القضاء على مدبّري الفتنة، كما أنّ الحكم بالإعدام لم يكن أبدًا بدافع التعصّب من طرف القضاة المسلمين، إنما كان حكمهم كان وَفْقًا للشريعة، ويسري على الجميع مسلمين ومسيحيين وغيرهم [2].

وقد أحصى ابن قيم الجوزية خمسة عشر دليلًا توجب قتل السّابّ لرسول الله " صلّى الله عليه وسلّم" في كتابه أحكام أهل الذّمة[3]،إنّ استخدام القوة المسلّحة يُعبَر عن مقدار العنصرية المنتشرة في نفوس العناصر في الأندلس ، فكان للقضاء على العنصرية المتمثّلة في الثورات والاضطرابات، لا بدّ من استخدام القوة للقضاء على مَن يبثّ هذه العنصرية ويترأّسُها .

2- الأدب باعتباره وسيلةً معنويَة

برز في ذلك الشاعر ابن دراج القسطلي فحينما ورد القومس بن غومس[4] على المنصور مستسلمًا عام (385هـ/995م) في إحدى المعارك ذكر ابن دراج أبياتًا تقلل فيها من شأن النصارى :

---

[1] صفي الدين، محي الدين، **المستعربون** ،120.

[2] ابن حيان، حيان، **المقتبس**،414-415.ابن الفرضي، عبد الله ، **تاريخ علماء الأندلس**،221.ابن الأبار،محمد، **التكملة لكتاب الصلة**،(104/4).

[3] ابن قيم الجوزية ، محمد،**أحكام أهل الذمة**،1357.

[4] ينتمي هذا القومس (الكونت) إلى أسرة عُرفت في التاريخ المسيحي باسم بني غومس، وكان جدهم يسمى غومز بن ديز، وكانوا أمراء شبه مستقلين على منطقة صغيرة شرق مدينة ليون تدعى قربون، وشلطانية ، وقد =

لما انتضَيْتَ سنَاها في مَفَارِقِهم خَرّتْ سُجُودا لك الأَعنْاقُ والقِمَمُ

وأَوْجُهٌ عفروها التُربَ خَاضِعةً كأنّ كُلَ جِبين منهم قَدَمُ[1]

وهكذا تتساوى عند ابن دراج جباه الأعاجم وأقدام المسلمين [2].

وامتدح ابن دراج المنصور وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن الناصر وذلك بسبب انتصارهم في معركة شنت ياقب عام (387هـ/997م) :

ولما استَصْرَخَ الإسلام طَاعَا إلى العاداتِ مِنكَ ملبِينَ

كَمَا لَبيته أيامَ تَلْقَى سيوفَ عداتُه بالراحتينِ

فيا عزّ الهُدى يومَ استقلّا لحزبِ اللهِ غيرِ مُواكلِينْ

فَتًى ولدتْهُ أطرافُ العَوالِي وَمقْصَعَةُ المَنايا تَوامِين

كَأن سِنَانَهُ شِيعيُ بَغِي تَقحِمُ ثائرًا بدمِ الحُسَينِ[3]

=وفد بعض رؤساء هذه الأسرة على الحكم المستنصر في أواخر أيامه ليؤكد عهود الولاء والخضوع، ثمّ وجه المنصور بن ابي عامر إليهم حملة بعد ان نكثوا بعهودهم فخرب قريون مقر إمارتهم، ويبدو ان ابن غومس وفد على المنصور مجددا عهود الولاء بعد تلك الوقعة، والذي بعد ذلك تحالف مع قومس قشتالة شانجة غرسية عام (390هـ/1000م) حينما قاد المنصور حملة جربيره. ابن دراج ، أحمد، **ديوان ابن دراج القسطلي**،402.

[1] **نفسه**،**403**.

[2] طربيه، جرجي،**التعصب العنصري والديني في الأندلس**،278.

[3] ابن عذاري، أحمد، البيان المغرب،(2/313-316).

يرى الشاعر في هذه الموقعة تأثرًا للدين ، شبيه بالثأر لدم الحسين بن علي المراق في كربلاء، وهنا استثارة لمشاعر المسلمين، وحضّهم على الجهاد ضدّ النصارى الذين دائمًا ما كانوا يترقّبون أيّ ضعف واضطرابات في الأندلس للاستيلاء عليها .

كذلك نجد ابن عبد ربه يمدح الأمير عبد الله عندما انتصر على عمر بن حفصون في إحدى المعارك :

هذِي الفُتوحَاتُ التي أَذكت لَنا في ظُلمةِ الآفاقِ نورَ سِراج[1]

كذلك يمدح عبد الرحمن الناصر الذي خلف جدّه عبد الله ، فقد استطاع الناصر أن يستوليَ على مائتي حصن من حصون الثوار :

في غَزوَةٍ مائتا حِصْنٍ ظَفِرت بها في كلّ حِصْنٍ غُواة للعَناجِيجِ

ما كانَ مُلْكُ سُلَيمانَ ليدرِكَها والمبتَنَى سَدّ يأجوجَ ومأجوجِ[2]

ولتخفيف التعصّب للمذهب المالكي يروي القاضي منذر بن سعيد البلوطي أبياتا من الشعر يهجو فيها ما كان عليه أهل بلده من اتباع للمذهب المالكيّ، وعلى الرغم من اشتراط العمل بمذهب مالك في القضاء، إلا انه كان يرفض التقليد الأعمى، ويدعو إلى العلم والاجتهاد ، وينبذ تقديس الأشخاص ، ولا سيّما أنّ الاجتهاد كان مشترطا في القضاء[3] :

عَذيري مِن قَومٍ يَقُولون كُلّما طَلَبْتَ دَليلًا هَكَذا قَالَ مالِكْ

---

[1] ابن عبد ربه ، أحمد ، العقد الفريد،(4 /499).ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي،230.

[2] نفسه،(4/499.)

[3] دريدي ، أشجع،**شعر قضاة الأندلس**،85.

إنْ عُدتَ قَالُوا هكَذا قَال أَشْهَب وقَد كَانَ لا تَخْفَى عليهِ المَسَالِكْ

فَإْن زِدْتَ قَالُوا قَالَ سُحنُون مِثْلَهم ومَنْ لَم يَقُلْ مَا قَالهُ فهو آَفِكْ

فإنْ قُلتَ قَالَ اللهُ ضَجّوا وأكثرُوا وقالُوا جَميعًا أنتَ قَرنٌ مُمَاحِك

وإنْ قُلتَ قَد قَالَ الرسولُ فقولُهم أَتَتْ مَالِكًا في تَركِ ذَاك المَسَالِكْ[1]

3- التخطيط لعمل مزج اجتماعيّ سليم

كان التفكّك الاجتماعيّ واضحًا في الأندلس، خاصّة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجريّ، من واقع التناقضات العنصرية والقوميّة التي تفشّت فيه، وأدت إلى تنافر السّكّان وعدم انصهارهم واندماجهم في منظومة النظام الأمويّ، على الرغم من طول المّدة التي عاشوها مع بعضهم البعض، وبالتالي أفضى ذلك إلى إضعاف تماسكهم، وتحديد وحدة الجبهة الداخلية ، وصعوبة التحكّم بهم[2]، وقد تحدّث ابن خلدون عن هذه الظّاهرة فقال:" إنّ الأوطانَ الكثيرةَ و القبائل والعصائب قلّ أن تتحكّم فيها دولة، والسّبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء ... فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها"[3].

نظرًا لذلك كان على الدولة الأموية في الأندلس إيجاد وسائل وخطط لدمج عناصر دولتها قدر الإمكان في إطار المجتمع الأندلسيّ، ومن هذه الوسائل:

---

[1] ابن عبد البر، يوسف، **جامع بيان العلم وفضله**،496.

[2] طقوش، محمد، **تاريخ المسلمين في الاندلس**،265.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن ، **المقدمة** ،137.

1- المصاهرة

قربت المصاهرة بين عناصر المجتمع الأندلسيّ بعض الشّيء، فقد ارتبط كثير من المسلمين من العرب والبربر بعلاقات مصاهرة مع أهل البلاد من النصارى، وهو ما أباحته الشّريعة الإسلاميّة [1] لقوله تعالى : " الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ [2]".

عملت المصاهرة على المزج بين الفاتحين والسّكّان من الإسبان، واختلاط في النسب والدم والتأثر في العادات والتقاليد، واعتناق للإسلام، وتأثر في اللغة، حيث دخل كثير من السّكّان في الإسلام وتعلّموا اللغة العربية، وأصبحت لغة العلم والثقافة [3]، وقد ساعد على ذلك التعاليم السمحة للدينِ الإسلاميّ، واختلاط كثير من العرب والنصارى في السّكن والجوار، والتعامل فيما بينهم في كثير من نواحي الحياة[4].

---

[1] الغامدي ، خالد ، **الصراع العقائدي في الأندلس**،575. ذكر القرطبي كراهية المالكية للزواج من الكتابيات، لأن الولد معرض لشرب الخمر، وأكل الخنزير ونحو ذلك . القرطبي ، محمد ، **الجامع لأحكام القران**،(567/2).

[2] **المائدة:5**

[3] ديودار ، حسين ،**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي** ،69.

[4] أمين ، احمد، **فجر الإسلام**،85.

وكان عبد العزيز بن موسى أول من شجع على الزواج من الإسبانيات، فتزوّج من امرأة لذريق إيلونا التي تُكنّيها المصادر العربية (أم عاصم)، وسكن معها في اشبيلية [1]، كذلك تزوّج البربر من عربيات وإسبانيات[2].

ساعد ارتباط العرب والبربر بعلاقات مصاهرة مع النصارى، على تقوية الإسلام، وقد نتج عن هذا التصاهر جيل من المولّدين وكان من أثر كثرتهم أن انتشرت اللغة الرومانية[3]بين الأندلسيّين.

نتج عن الزواج المختلط وجود كثير من الأسر التي تضمّ أقارب نصارى ومسلمين[4]، وقد أنصف الإسلام الطّرفين، فقد صدرت فتاوى من الفقهاء المسلمين تضمن للأمهات النصرانيات حقوقهن، منها تلك التي أصدرها ابن سهل ، والتي تعطي الحقّ في حضانة الأبناء إلى جدتهم لأمّهم، حتى وإن كانت غير مسلمة، وكانت الجدة للأب مسلمة[5]، وبذلك حفظت الأحكامُ الفقهيةُ

---

[1] ابن القوطية، محمد ،**تاريخ افتتاح الاندلس**،37. ابن عبد الحكم،عبد الرحمن، **فتوح افريقية**،84.مؤلف مجهول، **اخبار مجموعة**،27-28.ابن الأثير،عز الدين، **الكامل في التاريخ**،(22/5).ابن عذارى، أحمد ، **البيان المغرب**،(23/2).المقري، أحمد ، **نفح الطيب**،(276/1).مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**،130-131.كما تزوج زياد بن نابغة التميمي من إحدى بنات ملوك القوط، وسارة القوطية من عيسى بن مزاحم،كما أن أغلب خلفاء بني أمية في الأندلس كانت أمهاتهم جواري روميات، منهنّ مرجان الرومية أم الحكم المستنصر، وصبح البشكنسية أم هشام المؤيد.الجيوسي ، سلمى ، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**،(278/1).

[2] ففي عهد الأمير محمد زَوّج موسى بن موسى بن قسي السرقسطي بنته لارزاق بن منت المصمودي الحجاري.ابن القوطية،محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،117.

[3] آرنولد،توماس، **الدعوة إلى الإسلام**،157.اللغة الرومانية : وهي اللاتينية الحديثة ويسمّيها المؤرخون العرب العجمية أو اللطينية، وعن طريقهم تداخلت العربية والرومانية ، والتي نتج عنها ظهور فنّ الموشّحات. بالنثيا،آنجل ، **تاريخ الفكر الأندلسي**،2. ابن حزم،علي ، **جمهرة انساب العرب**،443.

[4] صفي الدين ، محي الدين، **المستعربون**،67.

[5] ابن سهل ، عيسى، **ديوان الأحكام الكبرى**،227.

حقوق النصارى، فلم تسمح للزوج المسلم منع زوجته النصرانية من الذهاب إلى الكنيسة أو شرب الخمر[1].

وقد أدت المصاهرة أيضًا إلى المزج اجتماعيًّا بين المسلمين وأهل البلاد الأصليين، فعملت على تكوين علاقاتٍ اجتماعيةٍ كالتحيّةِ والسلام، والجوار والدفاع عن بعضهم البعض[2]، إضافة إلى الطعام واللباس، وقد استدلّ العلماء على ذلك بقوله تعالى: "وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ " [3]، كذلك أباح الإسلام البيع والشّراء والكراء والشركة وأنواع المعاملات الدنيوية الأخرى ما لم تُحرّم بدليل[4].

يمكن القول: إنّ المصاهرة أدّت إلى التخفيف من العنصرية بين العناصر المختلفة في المجتمع، إلا انها لم تقضِ عليها، فهي أمر نسبيّ لا تستطيع التحكّم بها في ظلّ وجود مجتمع مختلط، ربّما بعضهم لا يحمل نزعةً وطنيةً اتجاهه، وقد استُخدِمت المصاهرة أحيانا كمظهر من مظاهر العنصرية، فقد كان المولّدون يزوّجون بناتهم لنصارى الشمال؛ وذلك من أجل استخدامهم وسيلةً

---

[1] البرزلي، أبو القاسم،**جامع مسائل الأحكام**، (458/3).

[2] فهذا الفقيه طالوت في فتنة وقعت، وخاف من السلطان فاستتر عند كتابيّ عامًا كاملًا، ثمّ خرج إلى صديقه الوزير ابن بسام، فوشى به إلى الأمير الأموي الحكم بن هشام، فجاءه الأمير وسأله، عند مَن اختفى فأخبره، أنه أجاره كتابي، فصرفه الحكم وعفا عنه، ثمّ التفت إلى الوزير ابن بسام وعاتبه عتابًا شديدًا، وذكر غدره بصديقه ووفاء الكتابيّ مع اختلاف دينه وخوفه على نفسه وأهله، ثمّ عزله من منصبه.ابن القوطية ، محمد، **تاريخ افتتاح الأندلس**،71.المقري،أحمد، **نفح الطيب**،(339/3)

[3] **المائدة:5**

[4] الغامدي ، خالد ، **الصراع العقائدي في الأندلس**،587.

وخديعةً ضدّ العرب، مثل زواج ابنة موسى بن موسى في عهد عبد الرحمن الأوسط بغرسية ملك البشاكسة[1].

2- الامتزاج الثقافيّ:

أدى التأثير المتبادل بين اللغات والثقافات في الأندلس، إلى احتكاك ثقافي[2]، فقد أخذ الإسبان الذين عاشوا بجوار المسلمين الكثير من العادات والتقاليد والأساليب الإسلامية، وتعلّموا اللغة العربية، ولبسوا الملابس العربية، واستعملوا الختان، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، واتخذ كثير منهم أسماءً عربيةً إلى جانب الأسماءِ الإسبانيةِ، وأتقن الكثيرون منهم اللغة العربية[3].

يقول المستشرق هونكه: "وجدتِ اللغة العربية تجاوبًا من العناصر كافة، وامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها[4]، أما المستشرق غرسية غوميث، فيقول: "كانت قرطبة بلدًا نصفَ عربيّ، يتحدّث أهله العربية وعجميّة أهل الأندلس، ويختلط فيه رنين الأجراس بآذان المؤذن"[5].

وقد أسهمت المناهج التدريسيّة التي انتهجها المسلمون في الأندلس في دمج العناصر غير العربية من خلال تسهيل عملية تلقين اللغة العربية وقواعدها، فقد كان التعليم في الأندلس يتمّ

---

(1) العذري،أحمد، **ترصيع الأخبار**،30.

(2) ظهرت بوادر التفاعل بين العرب والإسبان إبان فتح الأندلس حين اتصل الكونت خوليان حاكم سبتة الإسباني بالوالي موسى بن نصير ، من أجل إنقاذ إسبانيا والانتقام من الملك الإسباني لذريق .مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،5.

(3) ديودار ، حسين ، **المجتمع الاندلسي في العصر الأموي** ،79.نظرًا لأهميّة اللغة في عامل الاتصال، فقد حث الإسلام المسلمين على تعلّم لغة الأقوام، الأخرى ليتم التواصل معها في أحسن وأسلم حال، فكان الرسول " صلّى الله عليه وسلّم " يتكلّم الفارسية ، ويدعو أتباعه إلى تعلّم لغات الأقوام، وقد سُئل ابنُ عباس: هل تكلم الرسول بالفارسية، قال: نعم . القلقشندي ،أحمد، **صبح الأعشى** ،(165/1-166).

(4) **شمس العرب تسطع على الغرب**،367.

(5) بالنثيا ، أنجل ، **الفكر الإسلامي الأندلسي** ،39.

عَبر مراحل: المرحلة الأولى يتمّ فيها تعليم القرآن، والمرحلة الثانية يتمّ فيها ضبط القرآن والعربية والحساب، والمرحلة الثالثة يتمّ فيها قراءة الأحرف والشّعر[1].

وأسهم التعريب أيضًا في انتشار اللغة العربية، حتّى أصبحت جزءًا من حياة الناس، وكان النصارى يؤدّون بها شعائر دينهم، كما تولّى فقهاء الأندلس مهمّة التعريف بالإسلام لمن لا يحسن العربية، وكان وَضْعُ الذين دخلوا الإسلام في الأندلس أفضلَ من غيرهم في أقطار أخرى[2].

كذلك خلقت الأعياد لونًا من ألوانِ التقارب بين عناصر المجتمع الأندلسيّ،إذ تُبيّنُ أعياد النصارى مدى تسامح المسلمين تجاههم، إذ سمحوا لهم بالاحتفال بأعيادهم، وجعلُوا أيامها أيام عطل، كذلك كانت مراسم الموت فرصةً للتقارب بين أفراد المجتمع الأندلسيّ، حيث كانت فرصة لالتقاء المسيحيّ بصهره أو جاره المسلم[3] .

ثَمّةَ عددٌ كبير من المسلمين عقدوا مع النصارى علاقاتٍ تتسمُ بالمودّة، ودخلُوا معهم في صداقات ومصاهرات، وشاركوهم أعيادهم ومناسباتهم الاجتماعيةَ، وكانوا يقصدون كنائسهم وديارهم حتّى قيل: إنّ كثيرًا من المسلمين كان يحسن اللاتينية[4].

---

[1] المقري،أحمد، **نفح الطيب**،(43/2.).

[2] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،185-186.

[3] قروعي ، خديجة، **ظواهر اجتماعية مسيحية وإسلامية في الأندلس**،407

[4] كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**،184-185.

3- عمل إصلاحات شاملة

عمدَ البربر في بدايات الحكم الأمويّ للأندلس إلى نشوبِ ثوراتٍ للحصول على إصلاحات تخصّهم، سواء كانت سياسيّةً أو اقتصاديّةً أو اجتماعيّةً، حيث قام يوسف الفهري ببعض الإصلاحاتِ الإداريةِ، وأخذ يتفقد الأقاليم وأحوال سُكّانها ويعزل الحُكّام المتخاذلين، ويقضي على المظالم والفوضى، وعدل نظام الضرائب، واستبعد الأموات من الضّريبة، وكانت ما تزال تُجبى عنهم وَفْقًا للنظام القديم[1].

و أعاد النظر أيضًا في التقسيمات الإدارية باتجاه تقوية النظام المركزيّ في قرطبة ، فقسّم البلاد إلى خمس مقاطعات أو أقاليم، كما كانت في أيام الحكم القوطيّ [2] حيث مالت كلٌّ من العناصر السّكّانية التي سكنت الأندلس إلى التكتل في بؤرات عمرانية خاصّة بها، فنجدُ _ على سبيل المثال _ العنصر الغالب على قرطبة من العرب، أما إشبيلية وطليطلة فكانت من المولّدين ، وكانت غرناطة وقرمونة ومالقة يغلب عليها البربر، وقد كان لهذا دورٌ كبيرٌ في مَيْل أهل الأندلس إلى الاستقلال والخروج عن السلطة المركزية[3]، فَحَرص على أن تكون للإدارة المركزية أداة تنفيذيةٌ قويةٌ تفرض سيطرتها على البلاد[4].

وتمّت أيضًاعملية إصلاحاتٍ اقتصاديةٍ في عصر الولاة ، فالحُكم الإسلامي عمل على تخفيض الضرائب وتبسيطها، وفيما يتعلّق بالجزية، فقد تمّ تطبيق أحكام الإسلام، فلم تزد على دينارين ولم

---

[1] طقوش، محمد، **تاريخ المسلمين في الأندلس،**

[2] عنان،محمد، **دولة الإسلام في الأندلس،**(1/132-133).

[3] سالم ، عبد العزيز ،**تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،**364.

[4] لم تحقق إصلاحات يوسف الفهري النتائج المطلوبة ، لأنه بدا ضعيفًا داخل الجماعة القيسية ، وفشل في انتزاع الدور الأول ، فكيف بالزعامة الشاملة للأندلس، حتّى هو كان يشعر بضعفه وانصراف الناس عنه، فلا يكاد يكون أكثر من مجرد حاكم عادي لمدينة عادية.طقوش، محمد ، **تاريخ المسلمين في الأندلس،**104.

يقل مقدارها عن اثني عشر درهمًا، وكانت تتراوح قلةً أو كثرةً حسب مقدرة الشّخص المادية، وقد جُعِلت اثنا عشر قسطًا يُجبى قسطٌ كلَّ شهر للتخفيف عن الرعية[1].

و من الإصلاحات التي وجب القيام بها دمجُ جميع العناصر في مؤسّسات الدولة ، فعلى سبيل المثال شغل البربر كلّ أنواع الوظائف الإدارية في الأندلس، إلا أنّ عددهم قليل جدًّا، فكان الموظف نفسه يشغل مناصب عدّةً، كما أنّ مشاركتهم في الوظائف تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، حيث نجد أنّ القرن الثاني الهجريّ لا يكاد يعرف وجودًا لموظّفين من البربر، وتزايدت المشاركة خلال القرن الثالث الهجري، وقد بلغت أوجهَا في ظل الخلافة، أي في القرن الخامس الهجريّ، وهذا يعني أنّ البربر اندمجوا، في الإدارة الأموية بشكل يتوافق مع تطور الحياة الأندلسّية، وقد شكّل منتصف القرن الثالث الهجري، وخاصّة في عهد عبد الرحمن الثاني الانطلاقة الحقيقية لهذا الاندماج[2].

مثّل القرن الرابع الهجريّ، العاشر الميلادي أوج الإسهام الإداريّ البربريّ، فعدد الإداريين على عهد الناصر يضاهي وحده عدد كلّ الإداريين خلال القرنين السّابقين ، وأرقى المناصب التي

---

[1] محمود، منى ، **المسلمون في الاندلس وعلاقتهم بالفرنجة**،22

[2] حقي ، محمد، **البربر في الأندلس**،170.تنوعت المناصب التي تولاها البربر في الإدارة، فخلال القرن الثاني الهجري كانت وظائفهم بسيطة وتقتصر على منصبي الكتابة والولاية ، إذ ولّى عبد الرحمن الداخل ميمون بن سعد البربري مولى الوليد بن عبد الملك الذي دخل معه طليطلة ، بينما تولّى كتابة الحكم الحكم الربضي بربري يُدعى الحجاج المغيلي ، وكان كاتب ترسيل هو مولًى ليزيد بن طلحة العبسي. وخلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ازدادت أهميّة مناصب البربر، وشغلوا مناصب عُليا أرقاها منصب الحجابة ، ومنصب الحاجب في الأندلس يقترب من مهمة رئيس الوزراء ، كما تولّى البربر الوزارة، كما اشتغل البربر أيضًا بالكتابة .ابن الأبار،محمد ، **التكملة لكتاب الصلة** ،(315/1).ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**،239-240.ابن حيان، حيان، **المقتبس**،6.

تولّاها البربر منصب الحجابة، وكان الذي تولّاها أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفيّ القيسيّ في بداية عهد هشام المؤيد، قبل أن ينكب ويعزل [1].

كانت المشاركة البربرية في الإدارة الأموية ضعيفةً، وجاءت متأخرة ؛ وذلك بفعل الاحتكار والهيمنة التي مارسها العرب على جميع المناصب الإدارية والقضائية ، وعارضوا تولّيَ أيّ عنصر خارج عنهم لأحدها حتّى وإن عُيّن فإنهم يتحركون بقوة ويمارسون مختلف أنواع الضغوط من أجل عزله. وتحتفظ لنا المصادر بعدّة حالات من هذا النوع، ففي كتاب "قضاة قرطبة" يقول :" أول مَن وَلي قضاء الجماعة للخلفاء من الموالي، فشقّ ذلك على العرب وتأثّروا منه وتكلّموا فيه" [2].كما أنّ البربر يميلون إلى العزلة والاستقلال عن الجهاز الإداريّ وكبريائهم وعزوفهم عن خدمة الآخرين [3].

كذلك شغل النصارى مناصب عدّة، منها القضاء لأبناء جلدتهم، ومارسوا حرّية العمل، فاشتغلوا بالتجارة، متنقلين بين المدن والثّغور، إلا أنه عندما ضعفت الدولة الأموية شاركوا في المؤامرات ضدّها، كما شارك المولّدون في الحياة السياسيّة في الأندلس، فكان منهم ولاة للثغر لأعلى [4].

لا شكّ في أنّ المزج الاجتماعيّ لعناصر الدولة كافةً يتطلّب جهدًا من مؤسّساتها كافةً، بداية من قصر الحاكم إلى أقلّ مؤسّسة في الدولة ، فعلى سبيل المثال، كان على الفقهاء أن يعملوا على ذلك من خلال الفتاوى وجلسات النقاش والمناظرات والخطب في المساجد، إضافة إلى المؤسّسات التعليمية التي كانت متمثّلة في الكتاتيب عن طريق المنهج الدراسيّ الذي كان يُدرَّسْ ، والأهمّ

---

[1] ابن بسام، **الذخيرة في محاسن في أهل الجزيرة**، (59/7).المقري، احمد، **نفح الطيب**،(88/4).

[2] الخشني ، **قضاة قرطبة** ،101.

[3] حقي، محمد، **البربر في الأندلس**،176.

[4] مسعد، سامية،**التكوين العنصري**10-11.

من ذلك هل كان العلماء والمحيطون بالأمراء والحكام منتبهين للفجوات التي كانت بين عناصر المجتمع أم لا .

وجود حكومةٍ قويةٍ:

إنّ من أسباب ظهور العنصرية الضّعف الذي أصاب الحكومة الإسلامية في الأندلس من بدايات الخلاف القبلي إلى الفتنة البربرية في الأندلس ، فقد كانت تتراوح درجات الضّعف من أمير إلى آخر، كلّ حسب سياسته التي كان يتّبعها مع العناصر المؤلِّفة للمجتمع الأندلسيّ وكيفية مواجهته للأخطار الخارجية التي أحاطت بالأندلس فترة الحكم الإسلاميّ ؛ ولذلك كان لا بدّ من وجود حكومةٍ قويةٍ تواجه الفتن والاضطرابات الداخليةَ بحزم، والأخطار الخارجية في آن واحد، ومن السياسات التي اتبعها بعض أمراء الأندلس في مواجهة العنصرية ما يلي :

أ- اتباع سياسة الترغيب والترهيب

القوة وحدها لا تكفل للحاكم تحقيق الوَحدة السياسيّة والقضاء على التمردات والفتن ، فكلّما لمس الثّوار استبدادًا بشؤون الدولة أو تعسُّفًا في مواجهتهم ، ثاروا على الحاكم أكثر ، فالقوة والعنف يدفعان إلى الفتنة، إنّ اتباع سياسة القوة كانت تكفل خضوع الرعية طوال عهد الحاكم الذي يتّبع هذه السياسة ، ولكنها كانت تدفعهم إلى الثورة من بعده ؛ لذلك نرى أنّ الحاكم الناجح هو من اتبع سياسة الشدة واللين في وقت واحد[1].

فمن الأمور التي ساعدت عبد الرحمن الداخل على تأسيس دولةٍ قويةٍ الأركان والتخلّص من النزاعات القبلية التي كانت العنصرية سببًا رئيسًا فيها، اتباعه سياسة الترغيب والترهيب؛ وذلك

---

[1] سالم عبد العزيز ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**،364.

بشهادة من عدوّه أبي جعفر المنصور الذي يقول: إنه استمال رعيته في الأندلس" بسياسته، حتّى انقاد له عَصِيُّهم، وذلّ له أبيُّهم، فاستولى فيها على أريكته، ملكًا على قطيعته، قاهرًا لأعدائه، حاميًا لذماره، مانعًا لحوزته، خالطًا الرغبة إليه بالرهبة منه، إن ذلك لهو الفتى، كلّ الفتى لا يكذب مادحه[1].

كذلك نجد عبد الرحمن الناصر قد اتبع السياسة نفسها، فمنذ تولّيه حكم الأندلس أعلن عن سياسته بمنشور عام، وقد احتوى على مبدأين: هما التأكيد على التسامح بحقّ المتمرّد الذي يعلن الطاعة والولاء للسلطة المركزية، والتهديد باجتثاث معاقل المتمرّدين الذين يبقون على عصيانهم وتمرّدهم[2] .

كان من أول أعماله عند استلامه الحكمَ إرسال الكتب إلى الكور يدعوهم إلى التماسك ونبذ الخلاف ، فاستجاب بعضهم ولم يستجب البعض الآخر ، فكان على عبد الرحمن أن يتّبع سياسيةً تتلاءم مع الأوضاع النفسيّة للثّوار، فقد كان يعلم أنّ أكثر الثُّوار من قبائلَ وعصبياتٍ قديمةٍ فقدت سلطتها ، وأنها في حاجة إلى شخصيّة أكبر منها شأنا ، هذه السياسة تُسمّى بسياسة (الاستئمان) وهي مزيج من الدهاء والمعرفة بطبائع البشر ، فقد كان يخرج إلى الثّوار يحاصرهم، ثمّ يعرض عليهم الأمان والسماحة والعيش الكريم، وكان يفي بما يعد فيحمل الثّوار إلى قرطبة ويوفّر لهم الأموال والمعيشة الكريمة ويعفو عنهم، فلم يفكّروا في الخروج عليه بعد ذلك [3].

أدرك الأمير عبد الرحمن أنّ سياسة التساهل والتردد التي اتبعها أسلافه من أمراء الأندلس مع المتمرّدين كانت سياسةً غير نافعة، أنه لابدّ من الحزم وعدم ترك الفرصة لهم باستعادة قوتهم؛

---

[1] المقري،أحمد، **نفح الطيب**،(310/1).سالم، عبد العزيز ،**تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس**،365.

[2] ابن عبد ربه، أحمد ،**العقد الفريد**،(498/4).

[3] مسعد، سامية ،**التكوين العنصري**،108.

لذلك لم يقنع بالأتاوة السنوية والخضوع الاسمي الذي يعلنه المتمرّدون أحيانًا للتهرّب من المواقف المحرجة التي يقعون فيها عند مهاجمة جيش الإمارة، بل فرض عليهم النّزول عن حصونهم والانتقال إلى بلاطه لينخرطوا في جيشه[1].

لذلك نجد أنّ ثورة عمر بن حفصون قد تمّ القضاء عليها في عهد عبد الرحمن الناصر ، فقد اعتمد على نفسه في قيادة الحملاتِ العسكريةِ، حيث " زاد في حماسة جنوده أن رأَوْا أميرهم الشّاب الشّجاع في مقدمتهم، وهو شيء لم يعهدوه من عبد الله جدّه، فساروا وراءه معجبين مستميتين، وأخذت المدن بالأندلس تفتَح للأمير أبوابها واحدة إثر واحدة "[2].

يمكن للحاكم استخدام سياسة الترغيب والترهيب في سياسته الداخلية، أما عند مواجهته الأعداء الخارجيين ، فعليه استخدام القوة، وهنا نقصد بالأعداء الخارجيّين الممالك الشّمالية للنصارى، والتي استغلّت حالات الضّعف في الأندلس لتثيرَ الفتن والقلاقلَ الداخلية ، ففي البدايات كانت العوامل المؤثّرة على استقرار الأندلس داخليةً ، ولكن لو تمّ القضاء على العوامل الداخلية لما كان استطاع أحد أن يزعزع أمن الأندلس ، فالأندلسيّون أنفسهم سمحوا لذلك أن يحصل، نتيجةً للطمع في الخلافة ، وتعصُّب العناصر بعضهم ضّد بعض .

ب-إعداد جيش قويّ:

بدأ الأمير عبد الرحمن الداخل منذ تولّيه الحكم بالأندلس ، بإجراء تعديلات على التنظيم العسكري؛ وذلك لرغبته في إحلال نظام الدولة بدلاً من النظام القبليّ؛ وذلك بسبب ما تعرّض له

---

[1] بدر ، أحمد،**تاريخ الاندلس**،6.

[2] Stanly.Pool.**the moors in spain** . 16

من محاولة قتل دُبّرت ضدّه بعد انتصاره على يوسف الفهري في معركة المصارة[1]، وبالتالي فقدان ثقته في العرب بلديين وشاميين ، وخشيته من غدرهم به [2]، كما حاول التخفيف من العصبية العربية في الجيش لِمَا كان يحدث من صراعات بين البلديين والشاميين، أو بين العرب القيسية واليمانية[3] ، وبين العرب والبربر، إضافة إلى كثرة حركات التمرد والعصيان التي قامت ضدّه بعد إعلان قيام دولته[4].

أسّس عبد الرحمن الداخل جيشًا يقوم على إبعاد العنصر العربيّ من الجند والضّباط ، واعتمد على الموالي والبربر والعبيد، ومنهم اتخذ حرسه الخاصّ [5]، وفي هذا الصّدد يحكي المقري : " استوحش عبد الرحمن من العرب قاطبةً ، وعلم أنهم على دغلِ وحقدِ، فانحرف عنهم إلى اتخاذ المماليك ، فوضع يده في الابتياع، فابتاع موالي الناس بكلّ ناحية ، واعتضد أيضاً بالبربر، ووجّه عنهم إلى برّ العدوة، فأحسن لمَن وفد عليه إحسانًا رغب من خلفه في المتابعة"[6] ، وبعملية إقصائه للعنصر العربيّ في الجيش، اطمأنّ على حكمه وإمارته من الثائرين والطامعين

---

[1] معركة المصارة : معركة وقعت بين جيش يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس وجيش عبد الرحمن الداخل عام (138هـ/755م) انتصر فيها عبد الرحمن ودخل قرطبة ، وأصبح أميرا على الأندلس.مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ،56.

[2] مؤلف مجهول ، **أخبار** ، **مجموعة**،148،91-149.

[3] محي الدين ، صفي الدين ،**المستعربون**،92. الخلف ، سالم ،**نظم حكم الأمويين في الأندلس**،489.

[4] ابن عذاري ،أحمد ،**البيان المغرب**،(2/48-55).

[5] سالم ، عبد العزيز ، **تاريخ المسلمين آثارهم في الأندلس**،192. عمل عبد الرحمن على كسب ولاء المغاربة باستقدام أعداد كبيرة من بربر زناتة، فأحسن إليهم وأدخلهم في ديوان الجند، فكان يثق بهم، لذلك اعتمد على القائد البربري إبراهيم بن شجرة الأودي في معركة المصارة .مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة**،81.ابن عذاري، احمد، **البيان المغرب**،(47/2).شاهين، حامد، **سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس** ،52.

[6] المقري، أحمد، **نفح الطيب**،(36/2). حقي ،محمد،**البربر في الاندلس**،189.

بها من العرب الذين قاتلهم في المصارة ومن غيرهم ، وبهذه القاعدة يكون عبد الرحمن قد خرج عن نهج أسلافه بالاعتماد على العنصر غير العربي[1] .

ويبدو أن هناك عددًا من الأمراء ساروا على نهج عبد الرحمن الداخل ، منهم الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي وجد أنّ جيشه بنظامه القائم لا يمكن الاعتماد عليه؛ لأنّ العنصر العربيّ كان متفوقا فيه، وكانت العساكر المجندة في جيشه من سائر الكور والأقاليم تُوزّع وَفْقًا لقبائلهم وأقاليمهم؛ ولذلك كانت هذه الأجناد لا تُخلص للأمير بقدر إخلاصها لولاتها في الأقاليم؛ لأنها كانت تتعصّب لهؤلاء الولاة[2]، لذلك تعمد إضعاف العصبية العربية في جيشه وإدخال عناصر جديدة على الجيش ، فاستكثر من الصقالبة ، واصطنعهم في جيشه وحكومته، واعتمد عليهم في سائر شؤون الدولة[3] .

ولكن على ما يبدو فإنّ الناصر لم يكن محايدًا في إضعافه للعصبية العربية ، فهو لم يستطع أن يكسبهم إلى جانبه والدليل على ذلك خسارته في موقعة الخندق، حيث تخلّى الجيش العربيّ عنه؛ وذلك لتوليته قيادة الجيش لأحد الصقالبة ، إضافةً إلى أنّ العرب لربّما اعتبروا ذلك تقليلًا من شأنهم ، على الرغم من أنهم كان عليهم أن يراعوا أنهم في جهاد ، ولكن ما كان في نفوسهم من حقد لتولية مَن يعتبرونه أقلّ شأنًا منهم جعلهم يتخلّون عن الناصر في هذه المعركة.

كذلك اعتمد الحاجب المنصور في جيشه على عنصرين، هما البربر والصّقالبة ، وأهمل العرب، إذ رأى أنهم يقفون دون تمكنه من الحكم ، ونَظَّم الجيش إلى فرق تتمثّل القبائل في كلّ منها،

---

[1] فيلالي ، عبد العزيز ، **العلاقات السياسية**،67. شاهين، حامد، **سهولة الانتشار بين المغرب والاندلس**،52-53.

[2] سالم ، عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس**،367.

[3] **نفسه**،367.

والهدف من ذلك هو إزالة العصبية الجنسيّة فيه[1]، وقضى على النظام الإقطاعيّ للجند وبدّله بنظام المرتبات، يقول المقري :" وكان عرب الأندلس متميّزين بالعمائر والقبائل والبطون والأفخاد، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس، وقصد بذلك تشتيتَهم وقطعَ التحامهم، وتعصُّبهم في الاعتزاء، وقدم القواد على الأجناد، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كلّ قبيل ، فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالأندلس"[2]، لكنّ الخطأ الذي وقع فيه هو استكثاره للصقالبة والبربر ، وإهماله للرجال العرب ، ممّا أثار الحقد في نفوس العرب ، فهذا الأمر كان سببًا في إشعال نار الفتنة في قرطبة بين أهلها والبربر، بحيث كانت سببًا في سقوط الخلافة الأموية .

يقول ابن خلدون: إنّ المُغالبة والمُمانعة لا تستند إلا على النعرة الطائفية ، فمتى فسدت العصبية انهارت السلطة المركزية ، وعلى هذا كان فساد العصبية العربية وانقراضها بعد زوال الدولة العامرية سببًا في الإطاحة بالخلافة الأموية ، وقيام دُويلات الطوائف[3].

---

[1] المقري،أحمد، **نفح الطيب**،(374/1)

[2] المقري، أحمد، **نفح الطيب** ، (274/1). أدرك المنصور أهمية البربر ، وأنه سيحقق أهدافه بهم ، فمتى فرضهم على بقية الطوائف في الجيس الأموي بالأندلس، فإنّ ذلك سيُحدث شحناء بين تلك الطوائف وبين البربر ، والبربر بدورهم يرون في المنصور الملاذ الذي يحميهم من سطوة الآخرين، وبذلك ضمن المنصور الولاء الدائم من البربر، من أجل ذلك عمد إلى زيادة أعدادهم في جيشه من خلال استدعائهم من العدوة، فأرسل إلى رؤسائهم وشجعان فرسانهم، فأقبلت عليه قبائل زناتة ،و مغراوة ،و إزداجة، و صنهاجة، وبنو برزال ، وبنو يفرن وغيرهم ، فكان ينتقي من تلك الجموع الهائلة من تثبت كفاءته لديه ويلحقه بديوان الجند عنده.مؤلف مجهول ، **مفاخر البربر** ،44-45.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن ، **المقدمة** ،155-156. يقول عبد العزيز سالم: لم يقتصر الفساد على تطاحن العناصر البشرية في الأندلس فيما بينها فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الاستعانة بخصوم الإسلام في الأندلس، ونعني بهم نصارى الشمال، فقد أخذ كلّ فريق يستعين على جاره بالنصارى نظير إعطائهم بعض الحصون، وكان ذلك كلّه على حساب دولة الإسلام. **تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس**،369.

وبما أنّ الأندلس تتكون من عناصر مختلفة، كان يجب أن يحتويَ جيشها على العناصر كافةً، ولكن بنسب متفاوتة؛ وذلك حسب مدى ولاء كلّ عنصر للحكم الأموي، إضافة إلى نسبة تمثيلهم في المجتمع الأندلسيّ ، وذلك حتّى لا يشعر المجتمع أنّ هناك تمييزًا، خاصّة وأنّ الجيش من الركائز المهمة لأيّ دولة، وقد ارتكب الحاكم والأمراء الامويون خطأً عندما استكثروا من عنصر معيّن في الجيش على حساب العناصر الأخرى ، فقد زاد ذلك من الشعور بالتمييز والحقد، خاصّة عند العرب، حيث بدأ الأمراء يضعفون من تمثيلهم في الجيش ، فكان ذلك سببًا في انهيار الخلافة الأموية في الأندلس، وبداية عصر الطوائف ، فقد بالغ حُكّام الأندلس في تهميش العنصر العربيّ في الجيش، خاصّة في عهد المنصور بن أبي عامر ، وقد أسهم ذلك في تفكُك الخلافة بعد موته نتيجة للسياسة التي اتبعها أبناؤه من بعده، وهي احتكار الخلافة الأموية دون بني أمية.

الخاتمة

من خلال استعراض هذه الدراسة لموضوع العنصرية في الأندلس يمكننا أن نستنتج ما يلي :

- **أنّ مفهوم العنصرية مفهوم واسع لا يمكن حصره في نطاق معين، فهو يتناول جوانب، وأسس متعددةً، منها ما هو قائم على الدين أو العرق أو سماتٍ وصفاتٍ معينة ، كما أنّ العنصرية لا تقتصر على شعب أو فئة معينة، إلا أنها تتفاوت من مجتمع لآخر تبعًا لأمور عديدة .**

- **أنّ مصطلح العنصرية لم يكن متعارفًا عليه بمعناه الصريح في الأندلس خلال حكم الأمويين لها ، فهو مستحدث في معاجم اللغة، إلا أنه تم التعبير عن العنصرية بمفاهيم أخرى تدلّ عليها في تلك الفترة مثل: العصبية، والتفاضل، والشعوبية، والكراهية، وتشمل كلّ مفهوم ينتقص من شأن الآخر .**

- **أنّ هناك فرقًا بين الشّعوبية والعنصرية، على الرغم من أنّ العنصرية تدخل ضمن معنى الشعوبية، إلا أنّ الشّعوبية متعارف عليها أنها كانت بين العرب والعجم، بينما العنصرية كانت لا تقتصر على فئة دون أخرى، بل تراها بين الجماعة الواحدة وتشمل جميع عناصر الأندلس .**

- **أنّ العنصرية في الأندلس ظهرت منذ بداية الفتح الإسلامي لها ، بصور مختلفة، مثل تفرّد العرب بالسلطة وتعالي بعضهم على غيرهم من العناصر، أو على شكل ثورات قامت بها العناصر المختلفة من مولدين وبربر ونصارى وصقالبة، أو عن طريق الفكر من خلال التعصّب لمذهب واحد دون المذاهب الأخرى أو عن طريق الأدب .**

- **أنّ ضَعْفَ السلطة المركزية في الأندلس أدّى دورًا في ظهور العنصرية، فهي كانت متفاوتة باختلاف مراحل الحكم ، فقد كان ظهورها ضعيفًا في فترات القوة ، بينما كانت تظهر بشكل واضح وخطير في المراحل التي يكون فيها الحاكم ضعيفًا.**

- **أنه كان لتكوين المجتمع الاندلسي من العناصر السكانية المختلفة دورٌ مهمٌّ في إذكاء روح العنصرية، خاصّة وأنها لم تنسجم جميعُها انسجامًا تامًا، فلكلّ عنصر من العناصر ثقافته ولغته وقوميته التي يعتز بها ويأنف أن يتنازل عنها كما هو الحال مع النصارى والمولدين وباقي العناصر الأخرى .**

- **أنّ ظهور مصطلح أهل الأندلس يُعبّر عن صراع عنصريّ قويّ بين الأندلسيين والبربر ، فهو عبارة عن تضامن قوميّ لبعض العناصر في المجتمع الأندلسيّ لمقاومة وجود البربر .**

- **أنّ العنصرية أدّت دورًا ملحوظًا في مجالات عدّة، منها ما هو اجتماعيّ، فعلى المستوى الاجتماعيّ كان التعصّب للعرق لا يقتصر على عنصر معيّن، بل كانت جميع العناصر في الأندلس متعصّبةً لعرقها، ولم يقتصر الأمر على التعصّب العرقي، بل تعدّاه إلى تعصّب النصارى لدينهم ،وقد كان التعصّب للعرق سببًا في الصراعات العسكرية المتمثّلة في الثورات والفتن، كما كان للطبقية في المجتمع أثر في تنمية العنصرية وذلك من خلال؛ الوضع السياسيّ والدينيّ ،كما عملت العناصر الحاقدة على وتر القيم والعادات، فأخذت تبثّ القِيم غير الأخلاقية ، وذلك للتغلغل داخل المجتمع وجعله ينهار.**

- **أنّه على المستوى السياسيّ اندلعت ثورات عنصريّة عدّة عبرت عن شدة الكراهية بين العناصر الأندلسية، خاصّة بين العرب والبربر، وقد ازدادت هذه الكراهية في أواخر الخلافة الأموية في الأندلس.**

- **أنّ الفقهاء أدَّوْا دورًا مهمًّا، في قيام الثورات العنصرية، وذلك من خلال تأجيج الثّوار، وهذا يدلّ على مدى التأثير الروحيّ والدينيّ للفقهاء على المجتمع الأندلسيّ، فقد ظهر ذلك جليًا في ثورات المولّدين كما ظهر أيضًا خلال الفتنة البربرية .**

- **أنّ إضعاف العصبية العربية وإبعاد بني أمية عن الحكم ، قد أتاح للبربر أن يُظهروا ما بنفوسهم من عنصرية، وذلك نتيجة لما تعرّضوا له من تهميش، فقد أذكَوْا نار الفتنة البربرية .**

- **أنّ الفتنةَ البربريةَ قامت على أسسٍ عنصريةٍ قوميّةٍ بين العرب، والبربر، والصّقالبة، أدت إلى تقسيمهم الأندلس إلى دويلات عنصريّة .**

- **أنّ التعصّب للمذهب المالكيّ حَدَّ من الحرّية الفكرية في الأندلس، وضيَّقَ على الفلاسفة والمفكرين، مثل ما فعلوا مع بقي بن مخلد، حيث ثاروا عليه؛ لأنه أدخل رسالة الإمام الشّافعيّ للأندلس .**

- **أنه كان للأدب دوره في إظهار العنصرية والرد عليها في المجتمع الأندلسي، وقد ظهر ذلك واضحًا في أواخر الحكم الأمويّ للأندلس من خلال أشعار ابن درّاج القسطليّ، ومدحه للمنصور بن أبي عامر.**

- **أنّ النصارى الإسبان في الأندلس عملوا على تنمية الشّعور بالعنصرية الدينية لدى المستعربين، حيث اعتبروهم مستغلّين من قِبل المسلمين، لذلك تمّ تحريضهم من خلال الفكر، فظهر ما يعرف باسم حركة الاستشهاد، على الرغم من تمتّع كلٍّ من النّصارى والمستعربين بحريّة دينيةٍ ومكانةٍ لائقةٍ في المجتمع الأندلسيّ .**

- **أنّ الحكام في الأندلس أدّوا دورًا مهمًا في بعث روح العنصرية، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ، من خلال تقريبهم وتفضيلهم لبعض العناصر على حساب العناصر الأخرى واتخاذهم مواليَ لهم.**

- **أنّ العنصرية نجحت في إنهاء الحكم الأمويّ على الأندلس، على الرغم من محاولات التصدّي لها، حتى وإن لم تكن العنصرية واضحةً بمعناها الحرفيّ.**

- **أنّ القوة المسلحة لم تكن كافيةً لإيقاف العنصرية، فكان لا بدّ من اتباع وسائل أخرى للحدّ من العنصرية، وذلك من خلال مزج جميع العناصر في الأندلس في بَوتقةٍ واحدةٍ ونشرِ الثقافةِ العربيةِ .**

- **أنّه من الصّعب القضاء على العنصرية في مجتمع تسودُهُ عناصرُ مختلفةً عرقيًا ولغويًا ودينيًا وحتّى ثقافيًا ، إلا أنّ ذلك لا ينفي أنّ للعرب والمسلمين دورًا في انهيار حكمهم في الأندلس؛ وذلك بسبب ابتعادهم عن تعاليم الشّريعة الإسلاميّة و استعانتهم بنصارى الشّمال الذين كانوا يتحيّنون أيّ فرصة لاقتطاع الأندلس بالتدريج، وقد ظهر ذلك جليًّا وواضحًا في الفتنة البربرية؛ لذلك كان لا بدّ من وجود حكومةٍ قويةٍ للسيطرة على العنصرية .**

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

- **القرآن الكريم .**
- **سفر التثنية.**
- **الحديث النبوي الشريف.**
- ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت658هـ/1260م):
  - **الحلة السيراء**، دار المعارف، القاهرة ،2010م.
  - **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق : عبدالسلام الهراس ، دار الفكر ،(د.م)،1995م.
- ابن الأثير ، عز الدين(ت630هـ/1233م) :
  - **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1979م.
- ابن الأحمر ، إسماعيل(807هـ/1405م) :
  - **روضة النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، المغرب،1962م.
  - **بيوتات فاس الكبرى** ، دار المنصور، الرباط، 1972م.
- الإدريسي، محمد(ت559هـ/1166م) :
  - **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ،2002.
- الأزهري، محمد(ت370هـ/981م):
  - **تهذيب اللغة** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، (د.ت).

- ابن أيبك الصّفدي ، صلاح الدين (ت764هـ/1363م):
  - **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخر ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 2000م.
- البرزلي، أبو القاسم(ت844هـ/1440م):
  - **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا من المفتين والحُكّام** ،تحقيق: محمد الهيلة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
- ابن بسام ، علي (ت542هـ/1147م):
  - **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،1997م.
- ابن بلقين ، عبد الله :
  - **التبيان**، تحقيق: أمين توفيق الطيبي ،منشورات عكاف، المغرب ، (د.ت).
- الجاحظ ، عمرو(ت255هـ/869م) :
  - **البخلاء**، تحقيق : طه الحاجري ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت).
  - **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق : أحمد زكي باشا ،(د.د)،القاهرة، 1913م.
  - **الحيوان** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ،1965م.
- الجوهري ، إسماعيل(ت393هـ/1003م) :
  - **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ،تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين ،
- ابن حزم ، علي (456هـ/1064م):

- **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ،1962م.
- **التلخيص لوجوه التخليص** ، تحقيق : عبد الحق التركماني ،دار ابن حزم ، بيروت، 2003م.
- **رسائل ابن حزم الأندلسي** ، تحقيق ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ، 1987م.
- **فضائل الأندلس وأهلها** ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، (د.م)،1968م.

- ابن حوقل ، محمد (ت367هـ/977م):
  - **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة ، لبنان ،1992م.
- الحميدي ، محمد (488هـ/1095م):
  - **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق : بشار معروف ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2008م.
- الحميري ، محمد(ت900هـ/1495م) :
  - **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق : إحسان عباس ، مطابع هيدلبرغ، بيروت ، 1984م.
  - **صفة جزيرة الأندلس**، دار الجيل ، بيروت ، 1988م.
- ابن حيان ، حيان :
  - **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، المكتبة العصرية ، بيروت ،2006م
- ابن خاقان ، الفتح(ت528هـ/1134م) :

- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مِلَح أهل الأندلس**، تحقيق : محمد شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983م.

- الخشني ، محمد(ت366هـ/976م) :

- **أخبار الفقهاء والمحدثين** ،تحقيق : ماريا آبيلا واخر ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1991م.
- **قضاة قرطبة**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتب اللبناني، بيروت،1989م.

- ابن الخطيب ، لسان الدين(ت776هـ/1374م) :

- **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام وما يتعلق بذلك من الكلام** ، تحقيق : سيد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002م.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،دار الأمل للدراسات ، الجزائر ، 2009م.

- ابن خلدون ، عبد الرحمن(ت808هـ/1406م) :

- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، بيت الأفكار الدولية ، الأردن ، (د.ت).
- **مقدمة ابن خلدون** ،تحقيق : عبد الله الدرويش ،دار يعرب ،دمشق، 2004م.

- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد(681هـ/1282م) :

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ،تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،1972م.

- ابن دراج ، أحمد (ت421هـ/1030م):

- **ديوان ابن دراج القسطلي** ، تحقيق : محمود مكي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، 1961م.

- الذهبي، شمس الدين(ت748هـ/1348م) :
  - **سير أعلام النبلاء** ،تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د.ت).
- الزبيدي ، محمد(ت1205هـ/1790م) :
  - **طبقات النحويين واللغويين** ،تحقيق : محمد إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت).
  - **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق: عبد الستار فراج ، مطبعة حكومة الكويت . الكويت ،1965م.
- الزمخشري، محمود(ت538هـ/1143م) :
  - **أساس البلاغة** ،تحقيق: محمد السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1998م.
- ابن سعيد ، نور الدين(ت685هـ/1286م) :
  - **المغرب في حلى المغرب** ،تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف، لبنان ،2011م.
- ابن سهل، عيسى(ت649هـ/1251م):
  - **ديوان الأحكام الكبرى**، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة،2006م.
- الشهرستاني، محمد(ت548هـ/1153م) :
  - **الملل والنحل** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- الضّبي، أحمد :
  - **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق : إبراهيم الإيباري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت،1989 م.

- الطبري، محمد(ت310هـ/923م) :
  - **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: أبي صهيب الكرمي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- الطرطوشي ، أحمد(520هـ/1126م) :
  - **سراج الملوك** ، تحقيق : محمد أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1994م.
- ابن عبد البر ، يوسف(ت463هـ/1071م) :
  - **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية،1994م.
- ابن عبد ربه ، أحمد(ت328هـ/940م) :
  - **العقد الفريد** ،تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م.
- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن(ت257هـ/871م) :
  - **فتوح إفريقيا والأندلس**، تحقيق : عبد الله الطباع ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ،1964م.
- ابن عذاري، أحمد :
  - **البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب** ،تحقيق : بشار معروف وآخر، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2013م.
  - ابن العماد الحنبلي ،عبد الحي (ت1089هـ/1679م) :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير ، بيروت ، 1986م.

- ابن الفرضي ، عبد الله (ت403هـ/1012م):
  - **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق : بشار معروف ، دار الغرب الاسلامي ، تونس ،2008م.
- الفيروز أبادي ، محمد(ت817هـ/1414م) :
  - **القاموس المحيط** ،تحقيق : محمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، ،2005م.
- ابن قتيبة ، عبد الله(ت276هـ/889م) :
  - **الإمامة والسياسة** ، مطبعة النيل ، مصر ، 1904م.
- القرطبي، محمد(ت671هـ/1272م):
  - **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت،2006م.
- ابن قيم الجوزية ، محمد(ت751هـ/1349م):
  - **أحكام أهل الذمة** ، تحقيق : يوسف البكري وآخر ،دار رمادي للنشر ، الدمام ،1997م.
  - **فضل العرب والتنبيه على علومها** ،تحقيق : وليد خالص ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ،2010م.
- ابن القوطية ، محمد (ت367هـ/977م):
  - **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق : إبراهيم الإيباري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989م.
- القلقشندي ، أحمد(ت821هـ/1418م) :
  - **صبح الأعشى**، دار الكتب المصرية، مصر،1922م.

- **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان** ، تحقيق : إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982م.

- المراكشي ، عبد الواحد(ت647هـ/1250م) :
  - **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تحقيق : محمد العريان ، المكتبة العصرية ، بيروت ،2006م.
- المقدسي، محمد(ت380هـ/990م) :
  - **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،دار صادر ، بيروت ،1991م.
- المقري، أحمد(ت1041هـ/1631م) :
  - **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،دار صادر ، بيروت ،1968م.
- ابن منظور ، محمد(711هـ/1311م) :
  - **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).
- مؤلف مجهول :
  - **تاريخ الأندلس** ،تحقيق : عبد القادر بوباية ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،2009م.
- مؤلف مجهول :
  - **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق: سهيل زكار، دار الرشاد ،المغرب ، 1979م.
- مؤلف مجهول :
  - **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم** ،مطبع ريدنير ،مجريط ،1868م.

- مؤلف مجهول :
  - **مفاخر البربر** ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق ،الرباط ،2005م.
- النويري، شهاب الدين(ت733هـ/1333م) :
  - **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق : مفيد قميحة وآخرين ، دار الكتب العلمية ،(د.م)،(د.ت).
- ابن الوردي، سراج الدين (ت749هـ/1348م):
  - **خريدة العجائب وفريدة الغرائب** ، تحقيق : أنور زناتي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008م.
- الونشريسي ،أحمد (ت914هـ/1509م):
  - **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق : محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،1981م.
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين (ت626هـ/1229م):
  - **معجم البلدان** ،دار صادر ، بيروت ، 1993م.

المراجع :

- أحمد، الشفيع:
  - **يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل** ،دار ابن حزم، بيروت، 1996م.
- أرسلان، شكيب :
  - **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط**، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

- أمين، أحمد :
  - **ظهر الإسلام**، مؤسسة هنداوي، مصر،2012م.
- أرنولد، توماس:
  - **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرين ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1971م.
- اشتيوي، أشرف:
  - **الأندلس في عصر الولاة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، 2010م.
- أنداسو، يس:
  - **العنصرية في المعتقد اليهودي**، مجلة البحث العلمي للعلوم والآداب، جامعة الدلنج،ع15.
- أنيس ، إبراهيم واخرون:
  - **المعجم الوسيط**،(د.د)، القاهرة،(د.ت).
- بدر ، أحمد:
  - **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها**، دار أطلس، القاهرة،1983م.
- البستاني، بطرس:
  - **قطر المحيط**،(د.د)، بيروت،1869م.
  - **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
- البهى ،محمد:

- **التفرقة العنصرية والإسلام**، الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس، بيروت ، 1999م.

- بروفنسال، ليفي:

- **الحضارة العربية في إسبانيا**، ترجمة: الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

- بلنثيا، آنجل:

- **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.ت).

- بوباية، عبد القادر:

- **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(92-422هـ)(711-1031م)**. دار اكلتب العلمية، لبنان،2011م.

- بوتشيش، إبراهيم:

- **أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة(250هـ- 316هـ)**، منشورات عكاظ، الرباط،1985م.

- بيضون، إبراهيم:

- **الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية ، بيروت،1986م.

- الجبالي، خالد:

- **الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92-422هـ)**، مكتبة الآداب ، القاهرة، (د.ت).

- الحجي ، عبد الرحمن:
  - **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، بيروت،1981م.
- الجريسي، خالد:
  - **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، (د.د)، الرياض، (د.ت).
- الجمال، أحمد:
  - **دراسات في تاريخ الاندلس**، مركز اسكندرية للكتاب، مصر، 2006م.
- الجيوسي، سلمى (محرر):
  - **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1988م.
- حتاملة ، محمد:
  - **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية،عمان، 2000م.
- حسن، عامر:
  - **دولة بني مرين تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الاندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح،2003م.
- حقي، محمد:
  - **البربر في الأندلس ، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/771م-422هـ/1031م)**، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء،2001م.

- الحلبي، رامز:
  - **عوامل سقوط الأندلس(92هـ-711م= 897هـ-1492م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة، 2015م.
- الخفاجي، محمود:
  - **بنو وانسوس ودورهم السياسي والإداري والفكري في الأندلس حتى نهاية عهد الإمارة(136-307هـ/753-919م)**، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ،2011م.
- الخوري، سعيد:
  - **أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد**، مكتبة آية الله المرعشي، إيران، 2009م.
- دريدي، أشجع:
  - **شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح،2006م.
- الدغلي، محمد:
  - **الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي**، دار أسامة، (د.م)،1984م.
- الديبو، إبراهيم:
  - **التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة**، مجلة جامعة دمشق،ع2، 2010م.
- ديودار، حسين:

- **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسين، مصر،1994م.

- رضا، أحمد:
  - **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1960م.
- رينهارت، دوزي:
  - **تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة: حسن حبشي وآخر** ، المؤسسة المصرية العامة، مصر ،(د.ت).
- **المسلمون في الأندلس** ، الهيئة المصرية العامة ، مصر، (د.ت).
- الزغيبي، أحمد:
  - **العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها** ، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م.
- زيتون، محمود:
  - **المسلمون في المغرب والأندلس**، (د.د)،(د.م)،1990م.
- أبو زيد،بكر:
  - **خصائص جزيرة العرب**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة و الإرشاد، السعودية،1999م.
- زيدان، جرجي:
  - **فتح الأندلس**، دار الجيل، بيروت،1997م.
- السامرائي،خليل وآخرون:
- **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م.
- سالم، عبد العزيز:

- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1961م.
- **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).

- ستانلي، لين بول:
  - **قصة العرب في إسبانيا**، ترجمة: علي الجارم، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013م.
- شاهين، حامد:
  - **سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس، وأثرها على الحياة السياسية والعسكرية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية** ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، 2012م.
- شلبي،عمر:
  - **الشعوبية في الأندلس من عصر الطوائف إلى نهاية عصر الموحدين (422هـ-646هـ/1031-1248م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس ،2001م.
  - **أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس**، مجلة جامعة الخليل، مج3،ع1، 2007م.
- صفي الدين، محي الدين:
  - **المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس (138-483هـ/755-1090م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر،2008م.

- أبو الضبعات، ولاء:
  - **الحياة العلمية في عهد الإمارة الأموية في الأندلس (138هـ/755م) (316هـ/928م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، 2016م.
- ضيف، شوقي:
  - **تاريخ الأدب العربي** ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- طربية، جرجي:
  - **التعصب العنصري والديني في الأندلس، وانعكاساته على الأدب والأساطير**،(د.م)، بيروت،1984م.
- طقوش،محمد:
  - **تاريخ المسلمين في الأندلس،(91-897هـ)(710-1492م)**، دار النفائس، بيروت،2010م.
- العبادي،أحمد:
  - **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف، الإسكندرية،2000م.
  - **في تاريخ المغرب والاندلس**، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، 1986م.
- عبد البديع، لطفي:
  - **الإسلام في إسبانيا**
- عبد الحليم، رجب:
  - **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د.ت).

- عبد الرزاق، مصطفى:
  - **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،2011م.
- عمر، أحمد:
  - **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب ، القاهرة، 2008م.
- عنان،محمد:
  - **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، **القاهرة**، 1997م.
- العوفي، سلمى:
  - **الحسبة في الأندلس 92هـ-897هـ**، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية،2000م.
- عيسى، فوزي:
  - **الهجاء في الأدب الأندلسي**، دار الوفاء، الاسكندرية،2007م.
- الغامدي، خالد:
  - **الصراع العقائدي في الأندلس**، مكتبة الكوثر، السعودية،2008م.
- الفقي،عصام:
  - **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،(د.ت).
- فكري، أحمد:
  - **قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.
- فلهاوزن،يوليوس:

- **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية** ،ترجمة: محمد أبو ريدة، إدارة الثقافة العامة، الاسكندرية، 2003م.

- الفيومي، أحمد:
  - **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، لبنان ، 1987م.
- قارة، عبد العزيز:
  - **الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان في ميزان الإسلام** ، دار البشير، جدة،1995م.
- القحطاني، علي:
  - **الدولة العامرية دراسة سياسية وحضارية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى،1981م.
- قروعي، خديجة:
  - **ظواهر اجتماعية إسلامية ومسيحية** في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة، دار محاكاة، 2012م.
- كحيلة، عبادة:
  - **تاريخ النصارى في الأندلس**، (د.د)، (د.م)، 1993م.
- كولان،جورج:
  - **الأندلس** ، ترجمة: إبراهيم خورشيد واخر، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د.ت).
- اللافي، عطية:
  - **ثورة عمر بن حفصون وآثارها على الدولة الأموية في بلاد الأندلس**، مجلة الجامعة الأسمرية ، ع23، 2011م.

- محمود، منى:
  - **المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92هـ-206هـ-714م-815م)**، دار الفكر العربي، القاهرة،1986 م.
- مسعد،بونس:
  - **همجية التعاليم الصهيونية**، المكتب الإسلامي، بيروت،1983م.
- مسعد، سامية:
  - **التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس (93هـ-422م)** ، عين للدراسات والبحوث،مصر، 2004م.
- مسعود، جبران:
  - **الرائد** ، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.
- مؤنس، حسين:
  - **فجر الأندلس**، دار الرشاد، القاهرة،1959 م.
- هيكل، أحمد:
  - **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، القاهرة،1985م.
- ولد أن ، محمد الأمين :
  - **النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422هـ/539هـ)/1030م-1141م)**، رسالة دكتوراه،جامعة وهران، الجزائر،2013م.

المراجع الأجنبية:

- **Bern hard and Ellen m. whishaw, Arabic spain.garnet.1912.**

- **stanly.poole. the moors in spain.london.1888.**

الموسوعات:

- حسين، توفيق:
  - **الموسوعة الصغيرة(مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ)**، دار الحرية للطباعة، بغداد،(د.ت).
- حلاواني، ياسين:
  - **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2001م.
- محمد، غربال:
  - **الموسوعة العربية الميسرة**، دار الجيل، العراق، 1959م.
- الكيالي، عبد الوهاب:
  - **موسوعة السياسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(د.ت).

Abstract:

This study is concerned with racism in Andalusia, from the Islamic conquest until the fall of the Umayyad caliphate, bearing in mind that Racism in Andalusia emerged since the beginning of the Islamic conquest to it. To understand racism, it was necessary to examine its definition in away consistent with the subject of the study. Andalusia was then inhabited by many different elements and races, including Arabs, Berbers, Moulids, Christians and the people of Andalusia. Each of them played a major role in the emergence of racism that led ultimately to the fall of the Umayyad caliphate, whereas they organized revolts and disorders against the Umayyad rule.

Racism influenced all areas of life: socially, politically and intellectually. Members of different races were fanatic and intolerant toward others, in addition to casteism in society. There was no justice in obtaining positions, jobs and wealth in the state. Politically, Racism took the form of revolutions, caused either by hatred and malice for ethnic and racial grounds, or because members in society suffered injustice and were denied of their rights. Intellectually, imposing one doctrine, the Maliki, played a role in limiting intellectual freedom, as well as abusing thinkers and Islamic scholars who opposed this doctrine and followed other doctrines.

For the Umayyad Caliphate to rise on its own, many things had to be done to alleviate racism. Therefore, it confronted revolutions using armed force, exploiting marriage relationships to mix the different cultural elements of Andalusia, in addition to the presence of a strong government that could take full control of the state and didn't not allow any hateful element to exploit any weakness in the Andalusian society.

However, despite the measures taken to limit it, racism as a term was not familiar or conventional then, and the Umayyad state in Andalusia did not do its best to alleviate it. The measures mentioned above, even taken by the Umayyad rulers, were only used to maintain their position as rulers, not to address or confront racism directly.